لغز العملاق



محمود سالم

لغز العملاق

تأليف
محمود سالم



لغز العملاق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٨ ٢٥٢٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

شمروخ ... الديناصور

قال المفتش «سامي» وهو يضع ساقًا على ساق: بحكم سِنِّي وخبرتي الطويلة في عمل الشرطة ... أستطيع أن أقول لكم إن الماضي كثيرًا ما يُبعث من مرقده، وإن كثيرًا من الأحداث والشخصيات التي تُقابلنا في صدر حياتنا، تعود للظهور مرةً أخرى عندما نكبر ... وفي الوقت الذي نظن أن شخصًا ما قابلناه في مكانٍ بعيد ... وانتهى أمره بالنسبة لنا ... هذا الشخص قد يعود ليلعب دورًا آخر في حياتنا ... وكذلك أحداث الحياة.

ورشف المفتش الوسيم رشفةً من فنجان القهوة، ونظر إلى المغامرين الخمسة الذين كانوا يستمعون إليه باهتمامٍ وشغَفٍ وقال: ولعلكم أنتم برغم صغر أعماركم قد حَدَثَ لكم شيءٌ من هذا القبيل.

ردَّ «محب»: نعم ... فقد حدث مثلًا في لغز «العنكبوت الذهبي» أن ظهر «كلب البحر» ... وهو زعيم عصابة كنا قد قابلناه في مغامرةٍ سابقة ... ظهر بعد أن نسيناه، وتقابلنا معه مرةً أخرى.

عاد المفتش يقول: وهذا ما يحدث لي الآن ... فعندما كنتُ ضابطًا حديثَ التخرُّج من كلية الشرطة ... عُيِّنت في قرية «دُرُنْكة» إحدى قرى الصعيد ... وهي قرية ظهَر فيها أشهَر قاتل في تاريخ مجرمي هذه المنطقة ... وأعني به «الخُط». وابتسم المفتش وهو يقول: كانت تجرِبةً قاسيةً بالنسبة لي ... وفي ذلك الزمن البعيد لم تكن الكهرباء قد دخلت القرى ... فعندما كانت الشمس تغرب ... كان الظلام يهبط كثيفًا حتى لتظن أنكَ تعوم فيه ... ويسود الصمت القرى الصغيرة النائمة في حضن الجبل، ولا تسمع سوى نُباح الكلاب البعيد، أو نقيق الضفادع، وصرير صراصير الحقل ... ولا شيء آخر، فليس هناك مكان يمكن أن تذهب إليه.

وعاد المفتش «سامي» يرشف من فنجان القهوة في حديقة منزل «عاطف»، ثم قال: وفي موسم القصب حيث ترتفع أعواده وتتكاثف، يأتي موسم الجريمة ... حيث تنطلق الرصاصات في الظلام ... ثم يختفي الفاعل في الحقول الواسعة ... أو يلجأ إلى الجبل الشرقي الكبير ... حيث لا يستطيع أحد مطاردته.

قالت «لوزة»: وهل الجبل متسع إلى هذا الحد؟

ردَّ المفتش: نعم ... إنه سلسلة من الجبال تمتد من الصعيد حتى «حلوان»، بل «المعادي» أيضًا ... وعريضة لأنها تترامى من ضفة النيل الشرقية حتى البحر الأحمر ... وهي جبال موحشة، حافلة بالكهوف المظلمة ... ولا أحد يعرف أسرارها إلا «المطاريد» ...

ظهرت الدهشة على وجوه الأصدقاء، وتحدَّث «تختخ» لأول مرة فقال: ماذا تعني بـ «المطاريد» يا حضرة المفتش؟

ردَّ المفتش «سامي» قائلًا: هذه الكلمة تُطلق على كل من يرتكب جريمة ولا تناله يد العدالة. إنه يُصبح طريد المجتمع، وطريد الشرطة، وطريد القانون؛ لهذا يُطلق عليهم اسم «المطاريد» ... وهؤلاء يعيشون في الجبل، وعندما يهبط الظلام يهبطون إلى القرى الآمنة، فيسرقون وينهبون ... ثم يفرُّون إلى الجبل ...

محب: إنها صورة مخيفة.

ابتسم المفتش وقال: كانت كذلك منذ عشرين عامًا أو تزيد، أمَّا الآن فقد قلَّ عدد «المطاريد» كثيرًا، بعد أن تطوَّر العمل في الشرطة، وأصبح الجنود والضبَّاط على درجةٍ كبيرة من المهارة، وزُوِّدوا بأحدث الأسلحة والسيارات ... ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض «المطاريد»، ومنهم هذا الرجل الذي أُطارده الآن.

ابتسمت «لوزة» وقالت: أنتَ إذن مشغول بمطاردة مثيرة؟

المفتش: إنها مطاردة بين غريمَين قديمَين ... وكما قلتُ لكم الآن ... هناك بعض الأشخاص ممَّن تظن أنكَ لن تُقابلهم أبدًا ... وإذا بالأيام تدور وتجد نفسك معهم وجهًا لوجه ... وهذا الرجل يصدق عليه هذا الرأي.

قال «عاطف»: ومرَّت الأيام وتقابلتما؟

المفتش: نعم ... فعندما كنتُ ضابطًا صغيرًا في «دُرُنْكة» منذ خمسة وعشرين عامًا تقريبًا، ظهر هذا الرجل ليرتكب عدة جرائم متتالية ... وفي شهور قليلة أصبح أشهر مجرم في تلك المنطقة ... وكان من نصيبي أن أُطارده.

وسكت المفتش لحظات، كان يتذكَّر ذلك الماضي البعيد، ثم قال: كانت عصابة تزيد على عشرين من «المطاريد» ... ولم يكن عندي سوى خمسة جنود، وبضعة خُفراء، وبينما

كان الرجل واسمه «شمروخ» يستخدم هو ورجاله أحدث أنواع البنادق السريعة الطلقات، كنا نستخدم بنادق قديمةً من طراز «لي أنفيلد». وهكذا كان عليَّ أن أعتمد على الدهاء والمكر أكثر ممَّا أعتمد على القوة والسلاح ... وسكت المفتش وازداد اقتراب المغامرين منه ... كانوا يخشَون أن تُفلت منهم كلمةٌ واحدةٌ ممَّا يقول المفتش ... حتى «زنجر» زحف وأصبح تحت المائدة تمامًا ... ومضى المفتش يقول: ومن الصعب أن أسرد عليكم تفاصيل تلك المطاردة المثيرة بيننا ...

وقاطعته «لوزة» صائحة: أرجوكَ يا سيادة المفتش أن تروي لنا كل شيء ... نظر المفتش إلى ساعته، ثم قال: لن يتسع وقتي لهذا ... فإنني مرتبط بموعدٍ بعد دقائق، المهم أن المغامرة انتهتْ بالقبض على «شمروخ»، وعندما رأيته أدركتُ لماذا كان يخاف منه الناس ... فقد كان رجلًا طويل القامة ... مفتول العضلات ... كثيف الشعر ... عيونه كعيون النسر ... رجل مهول حقًّا ... وعملاق كما نتصوَّر العملاق ... وعجبتُ حقًّا كيف وقع هذا الرجل في يدي؟! ولكن ذلك كان نتاج خطة محكمة وتدبير طويل ...

نوسة: وماذا حدث بعد ذلك؟

المفتش: قُدِّم «شمروخ» للمحاكمة ... وحُكم عليه بالسجن عشرين عامًا ... ومنذ فترة أُفرج عنه، وبدلًا من أن ينسى ماضيه السيئ ... ويبدأ من جديد ... عاد إلى حياة الإجرام، وكوَّن فريقًا جديدًا من «المطاريد» ... وقد استطاع رجال الشرطة أن يوقعوا العصابة بضع مرات ... ولكنه استطاع دائمًا الفرار في الوقت المناسب.

وسكت المفتش لحظات، ثم عاد يقول: ومنذ يومَين وصلتْ إلينا أنباء أن «شمروخ» بعد أن ضيَّق رجال الشرطة عليه الحصار في الصعيد قد اتجه شمالًا ... أي جاء إلى هذه الأنحاء.

لوزة: في «المعادي»؟

المفتش: لا ... إن أمثال «شمروخ» لا يستطيعون الحياة إلا في الجبل ... إنه إذا ظهر في مثل هذه المنطقة انكشف على الفور.

قالت «لوزة» وقد بدت عليها خيبة الأمل: إذن فلن نشترك في هذه المغامرة!

ضحك المفتش وهو يقول: أي مغامرة يا عزيزتي «لوزة»؟ ... إن هذا العملاق لا تصلح معه الاستنتاجات والأدلة ... إنه وحش كاسر لا يعرف الرحمة ... خاصةً وهو يعرف أنه إذا قُبض عليه مرةً أخرى قد لا يخرج من السجن بعد ذلك. إن حريته الآن هي حياته.

محب: ولكنا سنراك ونسمع أخبار «شمروخ» أولًا بأول؟!

وقف المفتشُ وهو يقول: بالطبع ... إنني أتردَّد يوميًّا على «المعادي» و«حلوان» لأنني أضع خطةً للإيقاع بـ «شمروخ» مرةً أخرى.

تختخ: وهكذا يتكرَّر ما حَدَثَ منذ عشرين عامًا.

المفتش: نعم ... وكما قلتُ لكم في بداية الحديث ... هناك بعض الأشخاص والأحداث التي لا تتوقَّع أن تتكرَّر في حياتك، ولكنها تظهر من جديد.

نوسة: بهذه المناسبة يا سيادة المفتش ... لماذا لا تُحضر «نشوى» ابنتك لتُقيم معنا بضعة أيام ... ما دمت ستتردَّد على المنطقة كل يوم؟ ... إننا لم نرَها منذ فترةٍ طويلة، وسيُسعدنا جدًّا أن تأتي للإقامة معنا بعض الوقت ...

فكَّر المفتش لحظات، ثم قال: لا بأس ... إنها فكرة طيبة وأشكركم، وأظن أن «نشوى» ستسعد كثيرًا.

واتجه المفتش «سامي» ... إلى باب الحديقة، في نفس الوقت الذي ظهر فيه الشاويش «علي» قادمًا يحمل ورقة ... ورفع الشاويش يده بالتحية، ودقَّ كعبيه، ثم قال: إشارة عاجلة يا سيادة المفتش.

أمسك المفتش بالورقة، وأخذ يلتهم سطورها بعينَيه سريعًا، ثم ابتسم ابتسامةً واسعة ... فقالت «لوزة»: هل سقط العملاق؟

ردَّ المفتش: ليس تمامًا ... ولكن واحدًا من أهم أعوانه قد وقع منذ نصف ساعة في أيدينا، ولعلنا عن طريقه نستطيع الاهتداء إلى مخبأ «شمروخ» في الجبل.

وأسرع المفتش إلى سيارته التي كانت تقف بالباب، وقفز الشاويش «علي» بجواره وهو ينظر إلى المغامرين باستعلاء، ثم انطلقت السيارة مخلِّفةً وراءها دخَانًا خفيفًا.

وعاد المغامرون الخمسة إلى مقاعدهم في الحديقة ...

وقال «عاطف» ضاحكًا: إن «شمروخ» هذا كأنه حيوان من حيوانات ما قبل التاريخ ... كأنه «ديناصور».

قال «تختخ»: المشكلة أنه موجود ... وأنه لم يقع بعد.

حديثٌ على انفراد

في صباح اليوم التالي وصلت سيارة المفتش ... ونزلت «نشوى» تحمل حقيبتها عند باب الحديقة، ولكن المفتش لم يدخل، واكتفى بتحية الأصدقاء من بعيد ... ثم ابتعدت السيارة.

أسرع الأصدقاء يُرحِّبون بـ «نشوى» ... كانوا يُحبُّونها كما يُحبُّون والدها المفتش، كانت ذكيةً مثله ... وظريفةً مثله ... وعندما جلست سألتها «نوسة»: لماذا لم يدخل المفتش؟

ردَّت «نشوى»: لا أدري؛ فهو قليلًا ما يُحدِّثنا في المنزل عن عمله، ولكني فهمتُ من بعض الأحاديث بينه وبين رجاله أن رجلًا يُطارده قد ابتعد تمامًا عن منطقة «حلوان» و«المعادي».

نوسة: نعم سمعنا أمس من والدكِ عنه، إنه رجل يُدعى «شمروخ»، وهو عملاق ضخم، كان قد قبض عليه والدكِ منذ سنوات بعيدة، وقد عاد للظهور مرةً أخرى.

نشوى: إن حياة رجال الشرطة حياة شاقة، وكثيرًا ما نشعر بالقلق عندما يتغيَّب والدي فترةً طويلة ... أو يخرج لمطاردة مجرمٍ خطير.

رأى «عاطف» أن يُغيِّر مجرى الحديث فقال: لقد أعددنا لكِ برنامجًا حافلًا؛ فسنقضي يومًا في النيل للنزهة ... وسندخل السينما ... وسنُقيم حفلًا صغيرًا ندعو إليه بعض أصدقائنا وسيسرُّهم التعرُّف عليك.

نشوى: شكرًا لكم ... إنه شعور جميل أن تستقبلوني بكل هذه الحفاوة.

محب: نحن الذين نشكرك لحضورك.

نشوى: بالمناسبة أجدكم تجلسون هادئين، وليست هذه عادتكم، أليس هناك لغز تشتركون في حلِّه؟

اندفعت «لوزة» تقول: أبدًا ... تصوَّري أن نجلس هكذا لا نفعل شيئًا ... سوى أن نلعب «الشطرنج»، ونقرأ بعض الكتب ... وبالمناسبة لعلَّ حضورك يأتينا بلغزٍ نعمل فيه معًا ... إنني لا أُحب البقاء جالسةً طول الوقت.

عاطف: يمكنكِ أن تقفي.

ضحكت «نشوى» على هذا التعليق الظريف، ولكن بقية الأصدقاء لم يضحكوا، فقال «عاطف»: الحمد لله ... أصبح عندي مشجِّع.

وانهمكَ الجميع في الكلام ... وتمَّ الاتفاق على أن يقضوا المساء في إحدى دور السينما الصيفية ... وأصرَّ «تختخ» أن يكون الغداء في منزلهم ... ولكن «محب» قدَّم اقتراحًا ... أن يقوم كل واحدٍ منهم بإحضار نوعٍ من الطعام، وأن يتناولوا الغداء جميعًا في حديقة منزل «عاطف»، ووافق الجميع على هذا الاقتراح.

وقرب الساعة الواحدة ظهرًا ... انصرف «تختخ» إلى منزله يتبعه «زنجر»، وانصرف «محب» و«نوسة» معًا ... على أن يعود الثلاثة إلى حديقة منزل «عاطف» بعد ساعة وقد أحضروا الطعام حسب الاتفاق.

كان «تختخ» يركب درَّاجته، و«زنجر» يسير خلفه ... وكان يسير بهدوءٍ في ظل الأشجار بقدر الإمكان ... فقد كان الجو حارًّا ... وبحاسته السادسة كمغامرٍ أحسَّ أن شخصًا ما يتبعه، وحاول أن يُبعد عن نفسه هذا الخاطر ... فهم ليسوا مشتركين في مغامرة ... والوقت ظهرًا، وليس وقت مغامرات ولا متابعات ... ولكن إحساسه بالمراقبة كان مُلِحًّا ... وقرَّر أن يُجري تجرِبة بسيطة لا تُثير انتباه من يتبعه ... ظلَّ يسير باحثًا عن قطعة من الطوب أو مطب يقع فيه ... فقد قرَّر أن يُمثِّل دور من اصطدمتْ درَّاجته واضطُر للنزول للكشف عنها؛ حتى لا يلتفت إلى الخلف ويكشف إحساسه بالمراقبة لمن يتبعه ... وبعد بضعة أمتار وجد مطبًّا صغيرًا يكفي لتمثيل الدور ... فترك العجلة الأمامية تنزل فيه، وتظاهر بأنه فقد توازنه ... وترك الدرَّاجة تقع على الجانب وهو معها مُقدِّرًا ألَّا يُصاب بخدش ... وألَّا تصاب الدراجة بعطل، وقد نجح تمامًا في تمثيل الدور ... وعندما وقع على الأرض ... استطاع فورًا أن يلتفت خلفه ويرى شخصًا يركب درَّاجة يسير على الجانب الآخر من الشارع وهو يلبس نظارة شمس سوداء ... وقد تجاوزه الرجل بسرعة وهو ينظر إلى ناحية أخرى كأنه لا يرى «تختخ». ولاحظ «تختخ» ظَهْرَ الرجل ... كان يلبس قميصًا أزرق وبنطلونًا رمادي اللون، وشعره الطويل ينسدل على قفاه ... ولاحظ «تختخ» أن الدرَّاجة مزيَّنة بالورق الأحمر والأخضر، ورجَّح أنها مستأجرة من أحد محلَّات الدرَّاجات التي تحرص على تزيين درَّاجاتها بالورق الملوَّن.

أسرع «تختخ» يقفز إلى درَّاجته ويتبع الرجل الذي ما كاد يبتعد عن «تختخ» حتى أطلق للدراجة العِنان ... وبعد لحظات انحرف إلى أحد الشوارع الجانبية ... ولم يكد «تختخ» يصل إلى الشارع وينحرف فيه حتى وجد الرجل قد تلاشى تمامًا.

توقَّف «تختخ» قليلًا يُفكِّر فيما حدث ... هل كان الرجل يتبعه حقًّا ... أو أنه مجرَّد وهم؟ لم يكن يستطيع أن يتأكَّد ... وكل ما استطاع أن يفعله أن ينقش صورة الرجل في ذهنه ... فلو شاهده مرةً أخرى يتبعه ... فسيكون من المؤكَّد أن ثمَّة شيء يجري في الخفاء ولا يعرفه.

اتجه «تختخ» إلى منزله ... كانت والدته قد أعدَّت غداءً من اللحم المحمَّر والمحشي والسلطة الخضراء ... وارتاح «تختخ» إلى هذا النوع من الطعام ... فليس به سوائل يصعب نقلها بدرَّاجته.

وطلب «تختخ» من والدته إعداد طعام يكفي شخصَين ... وشرح لها زيارة «نشوى» ومشروع الغداء المشترك ... ورحَّبَت الوالدة كثيرًا، وسرعان ما أعدَّت له كميةً من المحشي واللحم المحمَّر والسلطة والفاكهة ... وحملها «تختخ» جميعًا في سلةٍ خلفه، وانطلق و«زنجر» يتبعه وقد شدته رائحةُ اللحم المحمَّر ... وكان قبل أن يُغادر المنزل قد فكَّر قليلًا، ثم صعد إلى غرفته وعاد بمرآة ركَّبها في الدرَّاجة.

أخذ «تختخ» يُراقب الطريق طول الوقت دون أن يلمح أثرًا للرجل ذي النظَّارة السوداء ... وكان يُفكِّر في نفس الوقت ... هل يقول للأصدقاء ما حدث؟ هل يروي لهم قصة الرجل؟ لقد كان يخشى اندفاع «لوزة» التي ستتصوَّر فورًا أن هناك لغزًا ... وأنهم يجب أن يبحثوا عن الرجل ... وكان يخشى أن يُفسد على «نشوى» ... زيارتها عندما يُضطرون لتغيير برنامج الزيارة وتحويله إلى برنامج للاشتراك في مغامرة.

وعندما وصل «تختخ» إلى باب حديقة منزل «عاطف» كان رأيه قد استقرَّ على أن يُخفي كلَّ شيء عن الأصدقاء، إلا إذا تكرَّر ظهور الرجل ... وبعد وصوله بقليل وصلت «نوسة» و«محب»، وكانا يحملان كميةً من السمك المشوي والأرز بالطماطم، وهو نوع من الأرز شائع بين سُكَّان الشواطئ ... ووالدة «نوسة» و«محب» أصلًا من الإسكندرية. وقام «عاطف» بالإشراف على تنظيم المائدة، وتناول الجميع غداءً شهيًّا مرحًا بين فكاهات «عاطف» ... خاصةً الموجَّهة إلى «تختخ» الذي انهمك في الطعام كعادته دون أن ينطق بكلمةٍ واحدة ... كان يُحب السمك المشوي والأرز ... فجلس بجوار طبق السمك ... وأخذت الأسماك تنتقل إلى يدَيه ... فينتهي من كل سمكة في بضع دقائق، حتى قال «عاطف»: أقترح أن تفتح محلًّا لتنظيف السمك ...

قال «محب»: وأكله!

عاطف: سيكون أول محلٍّ في العالم يفتتحه شخص ليأكل ما فيه.

وضحك الجميع، واضطُر «تختخ» للابتسام … ولكن ابتسامته لم تمنعه من الاستمرار في التهام الأسماك الشهية.

وعندما انتهى الجميع من طعامهم، ظلَّ «تختخ» مستمرًّا في الأكل، فقال «محب»: في هذه الحالة أنت مسئول عن تنظيف المائدة!

ووجد «تختخ» نفسه في مأزق … فتحدَّث لأول مرة قائلًا: ليس عندي مانع من تنظيف المائدة بشرطٍ واحد.

محب: وما هو هذا الشرط، والوقت ظهرًا؟

ابتسم «تختخ» وقال: أُريد مزيدًا من السمك …

وانفجر الجميع ضاحكين، وقالت «نوسة»: إنني على استعدادٍ للذهاب إلى المنزل والعودة بمزيدٍ من السمك.

قال «تختخ»: أشكرك يا «نوسة»، لقد تناولتُ أشهى غداءٍ في حياتي!

عاطف: هكذا أنت … دائمًا تقول عن كل أكلة إنها أشهى أكلة في حياتك!

وانتهى «تختخ» من طعامه … وأصرتْ «نوسة» و«لوزة» و«نشوى» على الاشتراك معه في تنظيف المائدة، وفجأةً سمعوا جميعًا صوت «زنجر» يَعْوي بصوتٍ حزين، فصاح «محب»: يا لنا من قُساة! … كيف نسينا «زنجر»؟!

وأسرع الجميع يختارون ما بقي من لحم وسمك يضعونه أمام الكلب الأسود … الذي نظر إليهم في عتاب، فقال «تختخ» وهو يربت عليه: آسف جدًّا يا «زنجر» … لقد أخطأنا … ولكن آخر مرة.

وقَبِل «زنجر» الاعتذار وأخذ يتناول طعامه … ثم غسلوا جميعًا أيديهم وجلسوا يتناولون الفاكهة «بطيخ مثلَّج» من «لوزة» و«عاطف»، وعنب من «تختخ»، وتين من «نوسة» و«محب».

وقالت «نشوى»: بصراحة … هذه أجمل أكلة تناولتها.

قاطعها «عاطف»: في حياتك؟!

قالت «نشوى» ضاحكة: على ما أذكر.

وعندما انتهوا جميعًا من تناول الفاكهة، لاحظ «تختخ» أن «محب» يُشير له، إنه يُريد أن يتحدَّث إليه على انفراد … فقام «تختخ» يتمشَّى في الحديقة وتبعه «محب»، فلما ابتعدا عن بقية الأصدقاء قال «محب»: إنني أشك أن شخصًا كان يتبعني أنا و«نوسة».

سكت «تختخ» لحظات، ثم قال: يركب درَّاجة؟ …

محب: بالضبط!

فكَّر «تختخ» لحظات، ثم قال: لقد حدث لي هذا أيضًا، وظننتُ أنني واهم، وأخفيتُ الأمر عنكم حتى لا أُفسد زيارة «نشوى».

محب: هكذا فكرتُ أنا أيضًا … ولكن ما العمل الآن؟

عودة الولد المتشرِّد

ظلَّ «تختخ» يُفكِّر لحظات، ثم قال: هل تتصوَّر أن هذه الرقابة لها علاقة بوجود «نشوى» عندنا؟

ضاقت عينا «محب» عند سماعه هذه الجملة وقال: هل تعني أنها رقابة من رجال الشرطة لحماية «نشوى» …

«تختخ»: لا طبعًا …

فلو كان الأمر كذلك لاكتفوا بمراقبة «نشوى» نفسها … ولكن أقصد أن ثمَّة من يُراقب خطواتنا بسببٍ يتعلَّق بـ «نشوى» … فنحن الآن لسنا مشتركين في مغامرة من أي نوع، فما السبب في وجود هذه المراقبة؟ …

محب: الحقيقة ليس هناك سوى ما قلتَه أنتَ الآن … أن تكون المسألة متعلِّقةً بـ «نشوى».

وسمعتا في هذه اللحظة «عاطف» يصيح بهما من بعيد: ما هي الحكاية؟ هل تُدبِّران مؤامرةً وحدكما؟

ردَّ «محب» بصوتٍ مرتفع: إننا نُفكِّر في تعديل البرنامج.

نهض «عاطف» والفتيات الثلاث وساروا جميعًا إلى «محب» و«تختخ»، فقال «تختخ» هامسًا: لا تُشِر إلى حديثنا الآن …

قال «عاطف»: ما هو تعديل البرنامج؟ … هل سنذهب إلى المريخ بدلًا من الذهاب إلى السينما؟!

قال «تختخ»: لا سينما هذا المساء يا «عاطف» … لقد رأينا أن ننتظر للغد؛ فسوف تُغيِّر السينما البرنامج … وهناك فيلمان رائعان في برنامج الغد.

عاطف: ولماذا لا ندخل الليلة، وندخل غدًا؟

تختخ: من غير المعقول أن ندخل السينما يومَين متتاليَين، وسوف نقضي المساء في دوري «الشطرنج» ... ولأن «نشوى» لاعبة ماهرة، فسوف تُكوِّن هي و«نوسة» فريقًا، وأنت و«محب» فريقًا، وستقوم «لوزة» بدور الحكم ...

عاطف: وأنت ... هل ستكون المتفرِّج الوحيد؟

تختخ: لا ... إن عندي بعض أعمال في المنزل لا بد من قضائها، وسوف أمر عليكم بعد ذلك، أو أتصل تليفونيًّا.

لوى «عاطف» بوزه في غير رضًا، ولكن «محب» سارع إلى تأييد رأي «تختخ» ... وسرعان ما انهمك الجميع في مناقشة شروط دوري «الشطرنج». فلمَّا قاربت الساعة الرابعة، استأذن «تختخ» الجميع في الانصراف، على أن يعود إليهم بعد ذلك.

خرج «تختخ» وفي ذهنه أن يقوم بعملية مزدوجة ... أولًا أن يكون موضع مراقبةٍ على أن يلتزم جانب الحذر الشديد حتى لا يكتشف من يراقبه أنه يعرف، وثانيًا أن يتنكَّر ويقوم هو بالمراقبة والمتابعة.

ركب درَّاجته وانطلق متكاسلًا في الطريق ... ليُتيح لمن يتبعه فرصة مراقبته دون متاعب، وكان «زنجر» يجري خلفه، وأدار «تختخ» مرآة الدرَّاجة التي ركبها في الصباح بحيث يرى كلَّ ما يدور في الشارع خلفه ... ولكنه لم يرَ الدراجة، ولم تكن هناك سوى بعض السيارات ... وبعض المارة ... ولم يكن في الطريق درَّاجة واحدة سوى درَّاجته.

ظلَّ يسير ... وينظر خلفه ... ورأى سيارةً خُيِّل إليه أنها تسير بسرعةٍ غير عادية ... تسير ببطء مقصود ... وبدأ يُراقبها خلال المرآة ... ولكن بعد أن اجتاز شارعًا اختفت السيارة ... وظهرت سيارة كادت تصطدم بها، وثار نقاش بين السيارتَين، ولم يُضيِّع «تختخ» وقتًا في مشاهدة المناقشة، وانطلق وقد تأكَّد أنه ليس مراقبًا هذه المرة.

وصل إلى منزله، فخلع ثيابه واغتسل، ثم أوى إلى فراشه ... فقد كانت خطته تحتاج إلى سهر طويل ... وعندما استيقظ في المساء تحدَّث إلى الأصدقاء تليفونيًّا واطمأن على سير دوري «الشطرنج»، ثم دخل غرفة العمليات حيث يحتفظ بأدوات التنكُّر، وعشرات من الأشياء الصغيرة التي يحتاج إليها المغامرون الخمسة في حلِّ الألغاز ... وعندما سمع باب الفيلا الرئيسي يُغلق، عرف أن والدَيه قد خرجا للسهرة كما أخبراه ... وسرعان ما خلع ثيابه، وأخذ يلبس مجموعةً متناثرةً من الملابس ... بنطلون قديم أقصر من طوله ... قميص طويل ممزَّق في أكثر من موضع ... وضع باروكة الشعر الشقراء المنفوشة ... ولطَّخ وجهه ببعض الأصباغ ... ثم اختار من حاجياته القديمة الكثيرة صندوقًا صغيرًا به أدوات مسح الأحذية ...

انتظر «تختخ» ساعةً أخرى، ثم اتصل بالأصدقاء واعتذر لهم عن عدم إمكانه الذهاب إليهم ... ثم انطلق من الباب الخلفي للحديقة، بعد أن ترك نافذة غرفته التي تفتح على الشجرة مفتوحًا؛ ليتمكَّن من العودة دون أن يُحِس به أحد. حاول «زنجر» أن يسير خلفه، ولكن «تختخ» خشي أن يكشف الكلب عن حقيقته، فطلب من «زنجر» البقاء مكانه ... فانسحب وهو يعوي في حزنٍ شديد ...

اجتاز «تختخ» الشارع ... وسار مبتعدًا عن المنزل، حتى إذا أصبح في شارع موازٍ لكورنيش النيل اجتاز شارعًا جانبيًّا، ثم أسرع الخطو إلى محل تأجير الدرَّاجات الكبير خلف محطة البنزين ... كان يعرف أن المحل في سبيله إلى أن يُغلق أبوابه في هذه الساعة ... ولكنه أراد أن يُلقي نظرةً على الدرَّاجات هناك ليتأكَّد من وجهة نظره ... ولكن للأسف عندما وصل إلى المحل كان العمَّال يُغلقون آخر أبوابه ...

مشى «تختخ» على الكورنيش قليلًا، ثم عاد مرةً أخرى إلى قلب «المعادي»، وسار حتى اقترب من حديقة منزل «عاطف» ... وسمع أصوات الأصدقاء وهم يتبادلون تحية المساء، وصوت «عاطف» وهو يُعلن تحدِّيه غدًا لفريق «نشوى» و«نوسة»، وفهم أنه قد هُزم مع «محب» في دوري «الشطرنج».

خرج «محب» و«نوسة» من منزل «عاطف» و«لوزة»، وسارا في الشارع الرئيسي فترة، وكان «تختخ» يتبعهم من بعيد ... وعلى الفور استطاع أن يُدرك أن هناك من يتبعهما ... وأحسَّ «تختخ» بالخطر ... إن المسألة أصبحت الآن حقيقة ... فالمغامرون الخمسة مراقبون لسببٍ مجهول ... وفكَّر أن يُسرع لتحذير «محب» و«نوسة»، ولكنه تذكَّر أن «محب» يعرف هذه الحقيقة، وأنه بالتأكيد قد أخذ حذره ... واكتفى «تختخ» بأن ينحرف في أحد الشوارع الجانبية ليسمح للرجل الذي يتبع «نوسة» و«محب» بتجاوزه حتى يستطيع هو أن يُراقبه، ولم تمضِ سوى لحظات حتى بدا الرجل يُسرع الخطو خلف «نوسة» و«محب»، فانتظر «تختخ» لحظات أخرى، ثم خرج من مكمنه ... كان الرجل قصيرًا يلبس ملابس سوداء، ويترنَّح في مِشيته بطريقةٍ عجيبة ...

سار الأربعة ... «محب» و«نوسة»، ثم الرجل ذو الملابس السوداء، وبعده بنحو ثلاثين مترًا كان «تختخ» وعيناه مركِّزتان على الرجل، مستعدًّا للجري في أي لحظة إذا حاول الرجل لأي سبب الاعتداء على صديقَيه ... ولكن الرجل ظلَّ يمشي حتى وصل «محب» و«نوسة» إلى المنزل، ودخلا ... وتوقَّف الرجل قليلًا على الرصيف الآخر، ثم استدار وعاد من نفس الطريق الذي جاء منه ... وانزوى «تختخ» في حديقة منزلٍ حتى تجاوزه الرجل، ثم عاد لمتابعته من جديد ... ولدهشة «تختخ» كان الرجل يتجه مرةً أخرى إلى منزل «عاطف».

أخذ ذهن «تختخ» يعمل بسرعة ... ما هي حكاية هذه المراقبة؟ ... إن هؤلاء الرجال يكتفون حتى الآن بمتابعة المغامرين الخمسة ... فماذا يُريدون منهم؟ وأخذ يتذكَّر الرجل ذا القميص الأزرق في الصباح ... ثم هذا الرجل، ويُحاول أن يُفتِّش في ذاكرته عن شيء عنهما ولكن عبثًا ... فهو لم يرَهما من قبلُ مطلقًا ... وإلا لأدرك أنهما من عصابةٍ من العصابات التي أوقع بها المغامرون الخمسة تُحاول الانتقام منهم ... فما هي الحكاية إذن؟ ... هل لها علاقة بـ «نشوى»؟ هل لها علاقة بمطاردة المفتش «سامي» للعملاق «شمروخ»؟ ولكن معلومات الشرطة تُؤكِّد أن «شمروخ» قد انتقل بعيدًا عن المنطقة تمامًا ... والمفتش قد ذهب خلفه ...

أسئلة كثيرة بلا إجابة واحدة ...

وصل الرجل إلى منزل «عاطف» وتوقَّف قليلًا ... كان المنزل غارقًا في الظلام، دليل أن جميع من به قد ناموا ... وفوجئ «تختخ» بالرجل يجتاز الشارع مبتعدًا عن المنزل ... ولم يتردَّد «تختخ» في متابعته ... وانحرف الرجل في شارع ضيِّق، وانحرف «تختخ» خلفه مسرعًا؛ خوفًا من أن يتلاشى منه في الظلام ... وفجأةً لمع ضوء كشَّافات سيارة واقفة ... فغمر الضوء الرجل و«تختخ» يُسرع خلفه ...

بهر الضوء عينَي «تختخ»، فرفع يده ليُخفِّف من أثر الضوء على عينَيه ...

وهكذا فقد لحظات ثمينة ... فقد انقضَّ عليه رجلان من جانبَي الشارع ... ووجد صندوقه يقع منه، والرجلان يحملانه حملًا إلى السيارة، وقد كتم أحدهما أنفاسه ... وسرعان ما دار المحرِّك ... وانطلقت السيارة ...

كانت المفاجأة كاملةً حتى إن «تختخ» ظنَّ أنه يحلم ... لقد كان يجري خلف الرجل خوفًا من أنه يفقد أثره ... وفي لحظات قليلة وجد نفسه في السيارة ... وبقدر ما أحسَّ بالضيق لما حدث ... فقد أحسَّ ببعض الارتياح ... لأنه سيجد إجابةً عن بعض الأسئلة التي دارت في نفسه ... ودُهش «تختخ» لطبيعة المغامر التي جعلته يُحس بالارتياح في لحظةٍ المفروض أن يُحس فيها بالرعب والضيق ...

انطلقت السيارة مسرعةً وقد لوى الرجل ذراعه فاضطُر إلى أن يقبع تحت أقدام الرجلَين على أرض السيارة عند المقعد الخلفي ... وسمع عجلات السيارة وهي تدق قضبان القطار، وعرف أنهما يجتازان المزلقان ... ثم انطلقت السيارة مسرعة، وبعد فترة أحسَّ بهواء بارد ينفذ من نافذة السيارة، وعرف أنهم يسيرون بجوار الكورنيش ... ومضت السيارة في طريقها مسرعة ... دون أن ينطق أيٌّ من الجالسين بحرفٍ واحد ... وكأنهم جميعًا خُرْس لا ألسنة لهم ... أو يتبعون تعليمات بالصمت من زعيم يخشونه تمامًا.

محاولة في وقتٍ ضيق

استمرَّت السيارة منطلقةً بسرعةٍ كبيرةٍ نحو نصف ساعة ... ثم بدأت تُهدِّئ من سرعتها تدريجيًّا ... ودارت ولفَّت بضع مرات ... ثم توقَّفت ... ووضع أحد الرجال يده على عينَي «تختخ» ... ثم اقتاده وما زال لاويًا ذراعه حتى اجتاز ممرًّا طويلًا شمَّ فيه رائحة ياسمين قوية؛ فعرف أنه في حديقة ... خاصةً وكانت بعض أفرع الأشجار تُلامس وجهه أحيانًا، وسمع «تختخ» صوت باب يُفتح ... ثم اصطدم بسُلَّم صعده، وكان الرجل ما زال يضع يده على عينَيه بشدة آلمته ... ومشى قليلًا، ثم سمع صوتًا يقول: من هذا؟ ...

ردَّ الرجل الذي يقود «تختخ»: إنه ولد متشرِّد كان يتبع «عصفور».

قال صاحب الصوت: ضعوه في المخزن.

وقاده الرجل مسافة عشرة أمتار تقريبًا، ثم نزلا بعض سلالم، ودفع الرجل بابًا بقدمه، ثم دفع «تختخ» إلى الأمام وتركه، وأغلق الباب.

فتح «تختخ» عينَيه ونظر حوله فلم يرَ شيئًا في البداية، إلا خطوطًا من ضوء بعيد تنفذ من خلال نافذتَين مشبَّكتَين بالقضبان الحديدية ... ثم أخذ يتأمَّل ما حوله ... كان في مخزنٍ للأثاث القديم وإطارات السيارات وغيرها من المهملات ... وكان المكان مستطيلًا يبلغ نحو عشرة أمتار طولًا وخمسة أمتار عرضًا ... وبعد لحظات كان قد عرف ما في المكان من أشياء، واختار مقعدًا قديمًا وجلس عليه ... وأحسَّ بعظامه تؤلمه بسبب ما جرى له في السيارة، وأخذت أفكاره تتلاحق ... لقد كان يرجو أن يجد الإجابة عن بعض الأسئلة التي دارت في رأسه ... ولكنه وجد نفسه يُضيف أسئلةً جديدةً إلى الأسئلة القديمة ... من هم هؤلاء الناس؟ وهل لهم علاقة بـ «شمروخ»؟ وهل يعرفون من هو؟ وبحركةٍ لا إرادية رفع يده إلى الباروكة وأعاد تثبيتها على رأسه ... وتحسَّس بعض الأدوات الدقيقة التي يحتفظ بها في جيب سري في بنطلونه، وضمنها كشاف صغير في حجم نصف القلم الرصاص ...

وفكَّر «تختخ» لحظات، ثم فتح «سوستةً» جانبيةً في البنطلون، وجذب الكشاف الصغير، ثم تقدَّم من الباب ... ووضع أذنه عليه ... لم يسمع إلا أصواتًا بعيدةً لنقاشٍ بين مجموعة الرجال ... اطمأن «تختخ» أن لا أحد يُراقبه، وأنهم اكتفَوا بإغلاق الباب عليه، فأضاء الكشَّاف الصغير، وأدار خيط الضوء الرفيع في المكان ... ولاحظ على الفور أن المخزن تحت مستوى الأرض ... وأنه واطئ السقف، له نافذتان في مستوى الأرض هما اللتان رآهما في الظلام.

اقترب «تختخ» من النافذة الأولى واختبرها، وأحسَّ بنوعٍ من الفرح الطاغي لأن القضبان كانت قديمةً ومتآكلة ... وأدرك أنه لا يحتاج إلى أكثر من ساعة مع المنشار الرفيع الذي معه ليتمكَّن من قطع أحد القضبان ... وعندما قاس المسافة بيده ابتسم بالرغم عنه، لقد كان سمينًا ولا بد من نشر قضيبَين ليتمكَّن من الخروج من سجنه ... وقد كان يمكن أن يشرع فورًا في هذا العمل ... ولكن ما قيمة هربه الآن قبل أن يحصل على أية معلومات عن هؤلاء الناس؟!

ولم يستمرَّ في تفكيره؛ طويلًا فقد سمع صوت أقدام تقترب من الباب، فأسرع يُطفئ كشَّافه الصغير ويدسه في مكانه ... وخطا خطوتَين فأصبح في وسط المخزن، وسمع الباب يُفتح، ثم سمع من يقول له: تعالَ هنا.

وتحرَّك «تختخ» في اتجاه الصوت، وهو مندهش من عدم إضاءة النور، ثم اقترب من الرجل الذي جذبه من ذراعه إلى خارج المخزن، ومرةً أخرى صعد الدرجات ومشى في الدهليز الطويل الذي أتى منه ... ولاحظ وجود عدد من اللوحات الفنية، ودُهش أن توجد مثل هذه اللوحات في مقر عصابة ... وبعد لحظات دخل غرفةً انعقد في سمائها دخَان السجائر ... ودُهش أن وجدها غرفة مكتب ... ووجد رجلًا شديد الأناقة يجلس إلى المكتب يلبس نظارةً طبية، وهو منهمك في الكتابة ... وظنَّ «تختخ» نفسه في غرفة محامٍ ... وقال الرجل دون أن يرفع رأسه: اتركه لي ...

ووقف «تختخ» مكانه يتأمَّل الرجل ... لم يكن بالتأكيد قد رآه من قبل ... كان مظهره يوحي برجل مثقَّف ... مهذَّب ... وزادت دهشة «تختخ» عندما ألقى الرجل قلمه، وخلع نظَّارته، ودعك عينَيه بأصابعه، ثم نظر إلى «تختخ» وزمَّ شفتَيه لحظات، ثم قال: من أنت؟

ردَّ «تختخ»: اسمي «كورة»، وأعمل ماسح أحذية!

ابتسم الرجل وقال: أنت فعلًا تُشبه الكرة.

وصمت لحظات، ثم قال: لماذا كنتَ تتبع «عصفور»؟

تختخ: لم أكن أتبعه في الحقيقة ... ولكني ظلِلتُ ألف طول النهار دون أن أتمكَّن من كسب قرشٍ واحد ... وعندما شاهدتُ هذا الرجل فكَّرت أن أُحاول أن أمسح له حذاءه ...

ضحك الرجل ضحكةً عاليةً وقال: إن دمك خفيف جدًّا ... هذه أول مرة أسمع عن ماسح أحذية يُطارد الزبون في الظلام ... ما رأيك أن تبحث عن تبريرٍ آخر معقول!

قال «تختخ»: الحقيقة كنتُ سأشحذ منه قرشًا للعشاء ...

تأمَّله الرجل لحظات، ثم قال: لا يبدو عليك هيئة الشخص الجائع ...

كان الرجل شديد الذكاء ... خفيف الدم ... وعرف «تختخ» أنه لن يستطيع خداعه، ولكن لم يكن أمامه إلا أن يُحاول للنهاية ... فقد كان مصيره، وربما مصير أصدقائه متوقِّفًا على ما سيحدث الآن.

وضع الرجل رأسه على كفه وقال: لا وقت عندي الآن لحديث أطول معك ... فلْنُكمل حديثنا غدًا بعد أن يتم ...

وتوقَّف الرجل عن إتمام جملته ... وبدا عليه بعض الضيق لأنه تحدَّث أكثر ممَّا ينبغي، وأدرك «تختخ» برغم الجملة المبتورة أن شيئًا ما سيحدث هذه الليلة أو غدًا ... ولكن ما هو هذا الشيء؟

عاد الرجل يقول: ستكون ضيفنا الليلة ... ونحن كرماء مع ضيوفنا إذا لم يتصرَّفوا بما يُغضبنا.

وفهم «تختخ» الإنذار ... وضغط الرجل على جرس أمامه، فظهر أحد الرجال على الفور فقال له: ضعوا له طعامًا كافيًا ... وأطلقوا الكلاب في الحديقة ...

وعاد الرجل إلى أوراقه ... وأمسك الرجل الآخر بذراع «تختخ» وقاده إلى مطبخ أنيق ... وسرعان ما كان أمامه كمية طيبة من الجبن والبيض والتونة والسلاطة، ولم يُضيِّع «تختخ» وقتًا؛ لقد كان جائعًا حقًّا ... وفي نفس الوقت كان عليه أن يُثبت دعواه أنه جائع.

أخذ يلتهم الطعام وهو يُفكِّر ... ماذا سيتم الليلة؟ ... هل هناك أي احتمال لهربه بعد أن أطلقوا الكلاب في الحديقة؟ إنها بالتأكيد كلاب ضخمة شرسة، وهذا النوع من الحُرَّاس من الصعب التغلُّب عليه ... وفكَّر في جهاز التليفون الذي رآه في المكتب ... هل من الممكن التسلُّل إليه والحديث إلى أحد الأصدقاء بعد أن ينام هؤلاء الرجال، أو على الأقل يخرجون؟!

وفجأةً طاف بذهنه سؤال ... ما سر مراقبة العصابة للمغامرين الخمسة؟ ... إن هذا الرجل الأنيق المهذَّب ليس «شمروخ» بالتأكيد ... فمن هو؟ ... وهل هناك علاقة بينه وبين «شمروخ»؟ ...

مزيد من الأسئلة ... ومزيد من الغموض ...

وأطال «تختخ» من فترة طعامه ... كان يُريد أن يكسب أكبر وقتٍ ممكن ليراقب حركة الرجال حوله ... محاولًا التسمُّع إلى أحاديثهم ... ولكن ملاحظته الأولى عن صمتهم أمامه برزت له مرةً أخرى ... إنهم لا يتحدَّثون أمامه مطلقًا ...

واضطُر في النهاية أن يُنهي طعامه حتى لا يلفت الأنظار إلى بطئه المتعمَّد. ومرةً أخرى اقتاده الرجلُ إلى المخزن، وأغلق عليه البابَ دون أن يُضيء النور ...

قرَّر «تختخ» أن يفهم سر النور المطفأ باستمرار، فأخرج كشَّافه الصغير وأطلق شعاعه على سقف المخزن، وعرف السبب ... كان بسيطًا جدًّا؛ فلم يكن هناك مصباح كهربائي في السقف ... كان السلك مقطوعًا.

اتجه «تختخ» إلى الكرسي الذي اختاره لجِلسته، ثم جلس ومدَّ قدمَيه إلى الأمام وأخذ يُفكِّر ... كانت هناك نقطة واحدة في صالحه ... إنهم لم يكتشفوا تنكُّره. وفكَّر في والدَيه ... سيعرفون صباحًا أنه ليس في غرفته ... ولكن ما كان يُطمئنه أنهما قد اعتادا على خروجه مبكِّرًا أحيانًا ... ولكن المهم أن يتمكَّن غدًا من الخروج من هذا السجن في موعد ملائم ...

مضت ساعة ... وبدأ «تختخ» يشعر برغبةٍ في النوم تُسيطر عليه تدريجيًّا ... ونظر إلى ساعته ... كانت الثالثة صباحًا ... وأخذ يُقاوم رغبته في النوم، فقام يتمشَّى في المخزن، ثم توقَّف عند النافذة ينظر إلى الخارج ... وعلى الفور سمع همهمةً قوية، وسمع صوت مخالب تقترب من النافذة ... وأدرك أن حُرَاسه الأُمناء يقومون بواجبهم.

عاد إلى مقعده، ثم مدَّ يده إلى الجيب السري، وأخرج أدواته الدقيقة، وفكَّر أنه إذا لم يتمكَّن من الخروج من النافذة، فليخرج من الباب ... ويكفي أن يتصل بأصدقائه محذِّرًا ... وأن يطلب منهم الاتصال بالمفتش «سامي».

مضت ساعة أخرى وهدأ كل شيء ... وتقدَّم «تختخ» من الباب ووضع أذنه على فُتحة القفل وأنصت جيدًا ... لم تكن هناك أصوات من أي نوع، ثم فجأةً سمع صوت سيارة تتحرَّك قريبًا جدًّا منه ... ورجَّح أنها تخرج من جراج الفيلا ... وسمع بعض الأصوات، ثم اندفعت السيارةُ خارجة، وهدأ كلُّ شيء ...

أمسك أدواته الدقيقة وأخذ يُعالج المزلاج ... كان من نوع عادي جدًّا ... فلم يصمد أمام أدواته أكثر من دقائق قليلة ... ثم سمع تكة اللسان وهو يُغادر مكانه ... وأدرك أن في إمكانه أن يخرج ... أخذ قلبه يدق سريعًا وهو يفتح الباب وينصت ... لم يكن هناك صوت ... وتسلَّل بهدوءٍ وصعد الدرجات، ثم مشى في الدهليز الطويل متجهًا إلى المكتب

... ووصل إلى باب المكتب ووجده نصف مفتوح، فانتظر لحظات، ثم دفعه برفق ... لم يحدث أي صوت ... فمشى على أطراف قدمَيه وشعاع الضوء الرفيع يُضيء له المكان، حتى وقف أمام التليفون، ورفع السمَّاعةَ برفق، وسمع الأزيز السريع الذي يدل على أن التليفون جاهز للاستعمال.

عندما يُخدع المغامر

فكَّر «تختخ» بسرعةٍ فيمن يتصل من المغامرين ... ووجد أن من الأفضل الاتصال بـ «عاطف» ... فـ «نشوى» ابنة المفتش عندهم ... ولعل كل هذا المخطَّط الذي تُنفِّذه هذه العصابة يتعلَّق بـ «نشوى» ما دام المغامرون الخمسة ليسوا مشتركين في لغز أو مطاردة عصابة ... ولأن الرقابة لم تبدأ عليهم إلا بعد وصول «نشوى»، كما أن «نشوى» أقدر على الاتصال بوالدها ...

طافت هذه الأفكار برأس «تختخ» في ثوانٍ قليلة ... ومدَّ يده وأخذ يُدير رقم «عاطف» ... وعندما انتهى منه وضع السمَّاعة على أذنه ... وسمع الجرس يدق في الطرف الآخر ... وانتظر ... كان يُدرك طبعًا أن «عاطف» وأسرته جميعًا يتمتَّعون بالنوم في هذه الساعة المبكِّرة من الصباح ... فانتظر دقيقة ... دقيقتَين ... ثلاث دقائق ... والتليفون يدق في الناحية الأخرى بإصرار دون رد ... كانت خريطة منزل «عاطف» واضحةً تمامًا في ذهن «تختخ»؛ فهو يعرف أن التليفون موجود قرب غرفة «عاطف» في الدور الثاني ... فلماذا لا يرد «عاطف»؟ ... لماذا لا تستيقظ «لوزة» أو «عاطف» أو «نشوى» أو أحد الوالدَين؟ ... هل طلب رقمًا خاطئًا؟!

وضع يده على التليفون قاطعًا الجرس ... وركَّز ذهنه جيدًا حتى تأكَّد أنه يتذكَّر رقم «عاطف» ... ثم أدار القرص مرةً أخرى ووضع السمَّاعة على أذنه واستمع ... ودقَّ الجرس على الطرف الآخر مرة ... مرتَين ... ثلاث مرات ... أربع ... خمس ... ست ... سبع ... ثماني مرات ... تسع ... عشر مرات ...

وفي هذه اللحظة ... وبرغم أنه كان مُركِّزًا انتباهه على جرس التليفون، فقد خُيِّل إليه أنه يسمع حركةً ما في الحديقة ... صوت أقدام شخص يقترب من غرفة المكتب ... وأسرع يضع السمَّاعة وأرهف أذنَيه ... ولم يعُد عنده أدنى شك أن ثمة من يتحرَّك في الحديقة

مقتربًا من الباب الخارجي للمكتب ... وأسرع يُغادر الغرفة متسلِّلًا على أطراف أصابعه وهو يلعن «عاطف» في سره لنومه الثقيل ... لائمًا نفسه لأنه لم يتصل ﺑ «محب»، ووصل إلى المخزن ... وأسرع ينزل السلالم، ثم دخل وأغلق خلفه الباب بهدوء، ووقف في الظلام يُفكِّر متسارع الأنفاس ... ماذا يفعل بعد ذلك؟ إن ضوء الفجر الوليد يتسلَّل من النافذة، وسيعج المكان بالحركة بعد قليل، ولن يكون في إمكانه أن يفعل شيئًا ...

وجلس «تختخ» وحيدًا يُفكِّر، وقطع عليه حبل أفكاره صوت مُحرِّك سيارة تقترب، ثم سمع صوتها تهدر قريبًا منه، وأدرك أنها سيارة العصابة، وأنهم كانوا في مهمة استغرقت نحو ساعة ونصف الساعة وعادوا ... وفكَّر في هذه المهمة، وأحسَّ بقلبه يكاد يتوقَّف ... نصف ساعة إلى «المعادي»، ومهمة في نصف ساعة ... ثم العودة في نصف ساعة ... لقد كانوا في «المعادي»! ... فماذا فعلوا هناك؟ ...

وأرهف أذنَيه محاولًا أن يسمع شيئًا، ولكن الأصوات كانت بعيدة، ولم يكن في إمكانه أن يسمع شيئًا ... وأحسَّ أنه متعب ويائس ... وأنه في أشد الحاجة إلى الراحة؛ فلم يعُد في إمكانه أن يفعل شيئًا، واختار كنبةً قديمةً ولكنها مريحة، وتمدَّد عليها، وأجبر أفكاره على التراجع، ثم استسلم للنوم.

في صباح اليوم التالي في حديقة منزل «عاطف» كان الأصدقاء الثلاثة ... «نشوى» و«لوزة» ... و«عاطف» يجلسون في الكشك الخشبي بعد الإفطار يشربون الشاي ويضحكون، وقالت «لوزة»: تعالَوا نُحدِّث «تختخ» ونطلب منه سرعة الحضور ... فهذا هو اليوم الذي سنقضيه في النيل، ويجب الذهاب مبكِّرًا قبل أن ترتفع الشمس ... وأحضرت «لوزة» التليفون، ورفعت السمَّاعة ... ولكن التليفون كان هامدًا لا حرارة فيه ... أخذت تدق وتدق عليه ... وتنفخ في البوق، ولكن الجهاز ظلَّ صامتًا كأنه تحوَّل إلى قطعةٍ من الخشب.

صاحت «لوزة» في ضيق: ما هي حكاية هذا التليفون؟ ... لقد كان خربًا منذ أسبوع واحد، وها هو ذا يعود فيصمت مرةً أخرى ... هذه مشكلة!

قال «عاطف»: لن تُعيد صيحاتكِ الحرارة إلى التليفون، سأذهب أنا سريعًا بالدرَّاجة إلى منزل «محب» فهو قريب منا، وأُحدِّث «تختخ»، ثم أطلب هيئة التليفونات وأطلب منهم إرسال من يُصلح هذا الجهاز الصامت.

وقبل أن ينتظر موافقة الفتاتَين، كان قد قفز إلى درَّاجته، وشاهد والده ووالدته يخرجان، فأشار لهما بيده مُودِّعًا؛ فقد كانا سيقضيان اليوم كله في القاهرة، ولن يعودا قبل الليل.

انطلق «عاطف» إلى منزل «محب» ... وجلست الصديقتان تتحدَّثان ... وسمعا صوت جرس درَّاجة تقترب، ثم ظهرت درَّاجتان، عليهما رجلان يلبسان ملابس رجال التليفونات ومعهما أدوات الإصلاح، وصاح أحدهما: هل في تليفونكم أي عطل؟

ردَّت «لوزة»: نعم ... هل حدَّثكم أخي «عاطف»؟

ردَّ الرجل: لم يتصل بنا شقيقك، ولكن شخصًا يُدعى «توفيق» قال إنه يُحاول الاتصال بكم منذ الصباح الباكر، ولكن التليفون لا يرد.

قالت «لوزة» لـ «نشوى»: إن «توفيق» هو اسم «تختخ» الحقيقي، ثم صاحت بالرجلَين: تفضلا هنا!

وترك الرجلان درَّاجتَيهما، ثم دخلا من باب الحديقة ... واقتربا من التليفون، فقالت «لوزة»: إنني لم أرَكما من قبل ... عادةً يأتي «رشدي».

ردَّ أحد الرجلَين: إن «رشدي» مريض اليوم، ونحن نقوم بعمله.

ورفع الرجل السماعةَ وأخذ يستمع، ثم قال لـ «لوزة»: أين «الفيشة» الأصلية للتليفون؟ ...

ردَّت «لوزة»: إنها بالداخل.

قال الرجل: أرجو أن تدليني عليها.

مضت «لوزة» مع الرجل داخل الفيلا، وأرته «الفيشة» فأخذ يفحصها، ثم قال: إنها على ما يُرام ... لا بد أن العطل من السلك، فأين يوجد السلك الموصل إلى الفيلا؟

قالت «لوزة»: إنه فوق السطح.

قال الرجل: تفضَّلي فدليني عليه.

سبقت «لوزة» الرجل، وسمعت في هذه اللحظة صوت سيارة تقف عند باب الحديقة، فقالت في نفسها: لا بد أنه المفتش.

صعدت «لوزة» مع الرجل إلى السطح، ولاحظت على الفور أن السلك مقطوع ... ودُهشت قليلًا، وأسرعت تقول للرجل: مدهش! ... إن السلك مقطوع ...

قال الرجل: لا بأس ... سوف نُصلحه فورًا.

وأخذ الرجل طرفَي السلك، وأخرج مطواه وأخذ يكشط البلاستيك الأسود حتى يبرز السلك، ومضت لحظات حتى انتهى من كشط السلكَين، فقالت «لوزة»: هل تحتاجني في شيء آخر؟

قال الرجل: لحظةً واحدة، ستبقَين بجوار السلك لحين تجرِبة التليفون ... ارفعيه بيدكِ إلى فوق؛ فهو متهدِّل قليلًا، وقد يُحدث هذا تداخلًا في المكالمات ... وسأنزل سريعًا لأُجرِّب التليفون وأعود إليك ...

دُهشت «لوزة» قليلًا لهذا الطلب، ولكن في سبيل إصلاح التليفون، رفعت السلك بيدها ووقفت، ونزل الرجل ...

مضت خمس دقائق وسمعت «لوزة» صوت السيارة تبتعد، وتضايقت أن المفتش غادرهم دون أن تراه وتسأله عن أخبار «شمروخ»، وظلَّت واقفة، ومرَّت خمس دقائق أخرى، وأحسَّت بذراعها تؤلمها ... وفي نفس الوقت أحسَّت بقلقٍ خفي لأن الرجل تأخَّر أكثر من اللازم ... وليس في المنزل سوى الشغَّالة «لطيفة» وهي مشغولة الآن في المطبخ، وفي النهاية قرَّرت أن تترك السلك وتنزل للبحث عن الرجل ... ونزلت مسرعةً إلى الدور الأرضي ولم يكن الرجل هناك، وخرجت إلى الحديقة ... ولم يكن هناك أحد، وأحسَّت بقلقها يتزايد ... وأسرعت إلى الكشك الخشبي وهي تصيح: «نشوى»! ... «نشوى»! ... ولكن لم تتلقَّ ردًّا ... دخلت الكشك فلم تجد أحدًا ... فعادت مسرعةً إلى الخارج، ووجدت الدرَّاجتَين في مكانَيهما ... ولا أثر للرجلَين ... وأخذت «لوزة» تجري كالمجنونة، وقد أدركتْ أن شيئًا قد حدث ... كان ظنها في البداية أن المفتش قد حضر وأخذ «نشوى»، ولكنها استبعدت أن يفعل هذا دون أن يُخطرها ودون أن تُودِّعها «نشوى»، كما أن ملابس «نشوى» ما زالت في غرفتها، ومن ناحية أخرى فإن اختفاء الرجلَين بهذا الشكل المريب أثار مخاوفها ... فتَّشت الغرف غرفةً غرفة ... وسألت «لطيفة» التي قالت إنها لم ترَ شيئًا، وأحسَّت «لوزة» بيدٍ حديدية تعتصر قلبها ... وفي هذه اللحظة ظهر «عاطف» وخلفه «نوسة» و«محب»، وصاحتْ بهم «لوزة» وهي تلهث: ألم ترَوا «نشوى»؟!

قال «عاطف» ساخرًا: ألم ترَيها أنت؟ ...

صاحت «لوزة»: إنني لا أمزح! ... لقد اختفت «نشوى»!

عاطف: اختفت!

نوسة: ماذا تقصدين؟

محب: كيف اختفت؟

لوزة: حضر رجلان لإصلاح التليفون وقالا لي إن «توفيق» قد اتصل بنا في الصباح الباكر، ولمَّا لم نردَّ عليه أبلغ عن عطلٍ في التليفون، وصعدت مع أحدهما ليرى مكان السلك، وتركني ونزل لتجرِبة التليفون، فلمَّا تأخَّر نزلتُ أبحث عنه فلم أجِده ... ولم أجِد زميله ... ولم أجِد «نشوى»! ...

قال «عاطف»: إنكِ تحلمين! ... كيف حدث هذا في أقل من ثلث الساعة التي غبتُها؟

قالت «لوزة» وقد امتلأت عيناها بالدموع: هذا حدث فعلًا ... لقد خطف الرجلان «نشوى» ... فعندما كنتُ أصعد مع الرجل سمعتُ سيارةً تقف بالباب، وظننتُ أنه المفتش «سامي» ... وقبل أن أنزل غادرَت العربة مكانها، ولا بد أنهما خطفاها بالسيارة ... كم كنت غبية! ... كم كنت غبية! ...

وقف الجميع واجمين ... كان الحادث رهيبًا ويحمل عشرات الدلالات ... فلا بد أن الخاطف من رجال «العملاق»، ولا بد أنه سينتقم من المفتش في شخص «نشوى» الصغيرة ... ومن بين دموعها قالت «لوزة»: وأين «تختخ»؟ لماذا لم يحضر؟

ردَّ «عاطف»: إنه ليس في منزله ... يقولون إنه ربما خرج مبكرًا.

زائرة غير منتظرة

عادتْ «لوزة» تصيح: لقد كنتُ في غاية الغباء! ... لقد خدعوني ببساطة وكأنني طفل صغير! ... كيف حدث هذا؟!

تقدَّمت «نوسة» منها وقالت: كفى يا «لوزة» ... لا داعي لأن تلومي نفسك ... لو أن أي واحدٍ منا كان هنا لحدث له نفس الشيء.

محب: المهم الآن ماذا نفعل؟

عاطف: ليس أمامنا إلا الاتصال بالمفتش «سامي». هل أصلح الرجل التليفون فعلًا أم اكتفى بخطف «نشوى»؟

لوزة: لا أدري ... من الواضح أنهم جاءوا ليلًا وقطعوا السلك، ثم جاءوا نهارًا وأعادوا تركيبه.

وأمسك «عاطف» بسمَّاعة التليفون ووضعها على أذنه، وسمع الأزيز الذي يدل على أن التليفون جاهز للاستعمال، ولولا الموقف المحزن لقال إن رجل العصابة ماهر حقًّا في إصلاح التليفونات.

أدار «عاطف» رقم المفتش «سامي»، وسرعان ما ردَّ عليه أحد معاونيه، فقال «عاطف»: أُريد الحديث مع المفتش للأهمية.

قال صاحب الصوت: انتظر لحظةً من فضلك.

ثم سمع «عاطف» صوت الرجل يقول: المفتش حضر الآن، وهو مشغول جدًّا، من أنت من فضلك؟

قال «عاطف»: قلْ له «عاطف» من «المعادي»، والمسألة خاصة وهامة.

بعد لحظة سمع «عاطف» صوت المفتش «سامي» يتحدَّث، كان من الواضح أنه متعب، وأخذ قلب «عاطف» يخفق بشدة وهو يسمع المفتش يقول: أهلًا «عاطف»، ما هي أخباركم؟

ردَّ «عاطف» وهو ينطق الكلمات بصعوبة: آسف جدًّا يا حضرة المفتش ... آسف جدًّا، إن ابنتك ... إن «نشوى» اختفت، وإن عندنا من الأسباب ...

قاطعه المفتش قائلًا: اختفت! ... ما معنى اختفت؟! ...

عاطف: أُريد أن أقول لسيادتك إن عندنا من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنها خُطفت ...

مرَّت لحظات طويلة قبل أن يرد المفتش بصوتٍ حاول أن يجعله هادئًا: ماذا حدث بالضبط؟

أخذ «عاطف» يروي للمفتش ما حدث في الصباح ... حتى انتهى إلى حديثهم معه.

قال المفتش بصوت مشحون بالانفعال: أين «توفيق»؟

ردَّ «عاطف»: كل ما نعرفه أنه ليس في منزله ... لقد خرج والداه في الصباح الباكر، وقالت الشغَّالة إنه ليس في غرفته، وربما خرج معهما.

في هذه اللحظة تدخَّل «محب» قائلًا: هاتِ السمَّاعة ... أُريد أن أُكلِّم المفتش ... وأمسك «محب» بالسمَّاعة وقال: آسف جدًّا يا سيادة المفتش لما حدث، وأظن أن غياب «تختخ» متعلِّق ببعض الشكوك التي راودتني أنا وهو أمس من أن هناك من يُراقبنا ...

المفتش: يراقبكم؟! ...

روى «محب» للمفتش ما حدث أمس، فقال المفتش: أعطني «لوزة» أُكلِّمها.

أمسكتْ «لوزة» بالسمَّاعة ... ولكن صوتها خانها ... كانت الدموع تخنق صوتها، فلم تستطِع أن تسمع كلمةً واحدة، ولكنها سمعت المفتش يقول: «لوزة» ... لا تلومي نفسك على ما حدث ... لقد كان سيحدث مع أي شخص آخر.

وانتظر المفتش أن ترد «لوزة» ... ولكنها ظلَّت غير قادرة على الحديث، فعاد المفتش يقول: سأحضر فورًا ... لا تفعلوا أي شيء لحين حضوري ... فقط اتصلوا بالشاويش «علي» ليحضر عندكم الآن ...

وضعت «لوزة» السمَّاعة والتفتت إلى «محب» قائلةً في ثورة: كيف حدث هذا؟! أنت و«تختخ» ... عرفتما أمس أن هناك من يُراقبنا ولم تقولا لنا ... لو عرفتُ أننا مراقبون لتصرَّفتُ بطريقةٍ أخرى ... ولما سمحتُ للرجلَين بدخول المنزل ... إنكَ أنتَ و«تختخ» ملامان على هذا التصرُّف.

لم يردَّ «محب»، فقالت «لوزة»: لقد طلب المفتش أن نتصل بالشاويش ليحضر فورًا إلى هنا ... أرجوكَ اتصلْ أنتَ فهو لن يُصدِّقني.

في هذه الأثناء كان «تختخ» ما يزال نائمًا في المخزن ... وسمع بين اليقظة والمنام صوت باب يُفتح، وصوت أقدام تدخل المخزن، ثم إغلاق الباب ... وشيئًا فشيئًا أخذ يستيقظ ... كان يُحس بالألم في جسمه ... وبصداعٍ شديد ... ولكنه فتح عينَيه ليرى آخر ما كان يتصوَّر في حياته ... كانت هناك فتاة صغيرة تجلس على أحد الكراسي الممزَّقة وهي تنظر إليه ... ولم تكن هذه الفتاة سوى «نشوى»!

عرف «تختخ» من نظرة «نشوى» إليه أنها لم تعرفه ... ودُهش لأن تنكُّره كان بهذا القدر من الإتقان ... فأخذ ينظر إليها ... وأُعجِب بشجاعتها؛ فلم تكن عليها علامات أي نوع من الفزع والخوف ... كانت هادئةً تمامًا ...

وقام «تختخ» من مكانه ومشى إليها بهدوء ... وأخذت «نشوى» تنظر إليه مستطلعة ... ومشى «تختخ» إلى النافذتَين فنظر منهما ... ثم ذهب إلى الباب واستمع جيدًا من ثُقب المفتاح ... ثم عاد إلى وسط المخزن ووقف أمامها وابتسم قائلًا: أهلًا «نشوى» ...

نظرت إليه «نشوى» بين مصدِّقة ومكذِّبة ... كان شكله ليس غريبًا عليها، ولكن لا تعرف بالضبط من هو ... وكان صوته يُشبه صوت «تختخ»، وفكَّرت بسرعة ... وكادت تُطلق صيحة دهشة، ولكن «تختخ» أسرع يضع يده على فمها، ثم قال: تمامًا ... أنا «تختخ». ورفع يده من على فمها، فقالت: ماذا حدث لك؟ ... لماذا أنتَ هكذا؟ ...

ردَّ «تختخ»: لقد كنتُ أُراقب العصابة ... ولكن للأسف أوقعوا بي.

نشوى: ألم يتعرَّفوا عليكَ في هذه الثياب وبهذه الباروكة؟ ...

ردَّ «تختخ»: إذا كنتِ أنتِ لم تعرفيني، فكيف يعرفونني هم؟ ... المهم ماذا أتى بكِ إلى هنا؟ ...

ردَّت «نشوى»: جاء رجلان لإصلاح التليفون في منزل «لوزة»، وكان «عاطف» قد ذهب إلى منزل «محب» ليُبلغ شكوى للتليفونات، ويطلبك للحضور ... وصعدتْ «لوزة» مع أحدهما إلى الفيلا لتريه مكان «الفيشة»، وبقِيتُ وحدي في الكشك الخشبي، وسمعتُ صوت سيارة تقف بباب الحديقة، وكان الرجل الآخر يقف في الحديقة، فوجدتُه يدخل الكشك ويقول لي إن هناك شخصًا في السيارة يُريد مقابلة «نشوى»، وظننتُ أنه أبي، فخرجتُ ولاحظتُ أنها ليست سيارته ... ولكنه أحيانًا يركب سيارةً أخرى، فاتجهتُ إلى السيارة،

وفُتِح بابها الخلفي، وأطلَّ شخص وقال إنه يحمل رسالةً من المفتش، فاقتربتُ منه، ولم أكَد أصل إلى الباب حتى دفعني رجل من الخلف، وتلقَّاني الرجل الآخر وكتم أنفاسي، ثم سمعتُ صوت أقدام رجل يأتي من ناحية الحديقة ويركب السيارة التي انطلقتْ بنا، حتى وجدتُ نفسي هنا …

تختخ: متى حدث هذا؟ …

نشوى: حوالي التاسعة صباحًا …

تختخ: ألم يكن هناك أحد في الشارع رأى ما حدث؟ …

نشوى: حدث كل شيء في ثوانٍ معدودات … وكان بعض المارة موجودين في الشارع، ولكنهم كانوا على مبعدة، ولم يكن في إمكانهم رؤية ما حدث، خاصةً أنني أدخلتُ رأسي في السيارة لأتسلَّم الخطاب، وأخفى الباب المفتوح ما حدث …

تختخ: إن المغامرين في موقف لا يُحسدون عليه … خاصةً ووالدك قد سافر بعيدًا خلف «شمروخ»، ولن يكون أمامهم إلا الشاويش «علي»، ولا أظنه سيتمكَّن من عمل شيء …

نشوى: وماذا يُريدون مني؟ …

تختخ: واضح جدًّا أنهم يُريدون الضغط على والدكِ من أجل شيء ما لا أعرفه … ربما مثلًا الإفراج عن مساعد «شمروخ» الذي وقع بين يدَي رجال الشرطة، وربما كان هذا مجرَّد انتقامٍ من المفتش.

نشوى: تقصد أن «شمروخ» اختطفني للانتقام من أبي؟!

تختخ: بالضبط … ولكن هناك شيء ما في «شمروخ» يجعلني أستبعد أن …

وقبل أن يتم «تختخ» جملته سمعا صوت الباب يُفتح، ثم ظهر شخص عرف «تختخ» على الفور أنه «عصفور» الذي كان يتبعه، وقال «عصفور»: هيا تحرَّكا … وتبعه الاثنان في الممر حتى دخلا غرفة المكتب … وكان الرجل الأنيق الذي تحدَّث إلى «تختخ» ليلًا يجلس إلى المكتب كما كان أمس تمامًا … وكان في هذه المرة أكثر مرحًا من الليل … فقد كان يبتسم وهو يستمع إلى موسيقًى خفيفة آتية من جهاز راديو بجواره …

وقال الرجل: تعالَي يا صغيرتي … ألَا تُحبين أن تسمعي صوت والدك؟ …

لم تردَّ «نشوى»، فرفع الرجل سمَّاعة التليفون … وراقبه «تختخ» وهو يُدير رقم المفتش في مديرية الأمن، ثم يضع السمَّاعة على أذنه ويستمع لحظات، ثم يقول: المفتش «سامي» من فضلك!

وصمت لحظات يستمع، ثم قال: أُريده لأمر هام!

واستمع لحظات أخرى، ثم قال: سأطلبه في هذا الرقم.

والتفت الرجل إلى «نشوى» ... وقال: إن والدكِ ذهب إلى «المعادي» عند أصدقائك الصغار وسأطلبه هناك ...

كان «تختخ» يرقب المشهد كلَّه وذهنه يعمل بسرعة الصاروخ ... كيف يمكن الاستفادة من هذه الاتصالات ... هل يستطيع أن ينقل إلى المغامرين أو إلى المفتش كلمةً واحدةً أو بضع كلمات ... ولكن ذلك كان مستحيلًا ... فلو حاول أن يخطف السمَّاعة لقضَوا عليه في لحظة قبل أن يقول شيئًا ... فقد كان يقف خلفه «عصفور»، ورجل آخر يلبس الملابس البلدية ... الجلباب والطاقية ... شديد السمرة يحمل على كتفه بندقيةً سريعة الطلقات ... ورجَّح «تختخ» أنه حارس الفيلا مع الكلاب المتوحِّشة ...

أخذ الرجل الأنيق يُدير قرص التليفون برقم «عاطف»، وعندما انتهى من إدارة الرقم أشار إلى الرجل ذي الملابس البلدية، فأسرع إلى جواره ... وعندما ردَّ المفتش قال له الرجل الأنيق: هناك من يُريد الحديث إليك ...

ثم دفع بالسمَّاعة إلى الرجل الأسمر الذي أمسك التليفون، ثم قال على الفور وكأنه قد حفظ ما سيقوله: أنا «شمروخ» يا «سامي» بك ... أنتَ نسيتَني ... وانتظر لحظات، ثم قال: مرت عشرون سنة، ولكن «شمروخ» لا ينسى ثأره يا «سامي» بك ... ويوم لك، ويوم عليك ...

عملية الحلاوة بالشطّة

غمرت الدهشة ذهن «تختخ» حتى كادت تشل تفكيره ... إن شيئًا غير عادي يُدبَّر الآن ... فهذا الرجل ليس «شمروخ» كما وصفه المفتش «سامي» ... إنه قصير القامة، ضئيل الحجم ... وإن كان بادي الشر ... و«شمروخ» كما وصفه المفتش عملاق ... فما هي الحكاية بالضبط؟ ...

واستمع الرجل الأسمر قليلًا، ثم قال: إنني لا أضحك عليك؛ فأنتَ تعرفني يا «سامي» بك ... ابنتك عندي ... خُذ كلِّمها.

وأشار له الرجل الأنيق فناول السمَّاعة لـ «نشوى»، وفي هذه اللحظة أحسَّ «تختخ» أنه من الممكن أن تنقل «نشوى» رسالةً إلى والدها ... ولكن كيف؟ سلَّط عليها نظراته ... وتمنَّى أن تنظر إليه ... وفعلًا رفعتْ «نشوى» إليه بصرها ... ورأت في عينَيه رسالةً ما ... وعندما أمسكت بالسمَّاعة قالت: صباح الخير يا بابا ... أرجو ألَّا تكون غاضبًا مني.

واستمعتْ قليلًا، ثم قالت: أنا على ما يرام ... كل ما هنالك أنني أُقيم مع ولدٍ سمين متشرِّد، منكوش الشعر ... ولكنه طيب ...

ابتهج «تختخ» كثيرًا بما فعلته «نشوى» ... فسوف يفهم المغامرون فورًا أنه هو ... فهم يعرفون وسيلة تنكُّره ... واختطف الرجل الأسمر بناءً على طلب من الرجل الأنيق السمَّاعة، ثم قال: لنا كلام آخر يا «سامي بك»!

ثم وضع السمَّاعة ... ونظر إلى الرجل الأنيق الذي قال مبتسمًا: عظيم يا «جودة»! إنكَ تصلح للتمثيل في السينما.

قال «جودة» مكشِّرًا عن أنيابه: البركة فيك يا «سعيد» بك.

لم يكد «جودة» ينطق باسم الرجل الأنيق حتى اكفهرَّ وجهه، وجزَّ على أسنانه وصاح به: اخرج أيها الغبي!

وعرف «تختخ» سبب ثورته ... لقد ناداه «جودة» باسمه ... ونظر «سعيد» إلى «نشوى»، ثم إلى «تختخ»، وقال محدِّثًا «تختخ»: لقد نسيتُ أمركَ أيها الصعلوك ... وبعد أن سمعتَ ما سمعت، لا أظن أن في إمكاني تركك تذهب بعيدًا ... لقد أصبحتَ خطرًا!

تظاهر «تختخ» بالبلاهة وقال: وما ذنبي أنا يا سيدي، لقد فقدتُ صندوق مسح الأحذية وسوف يضربني أبي ... أرجوكَ يا سيدي ... أستحلفكَ بكل عزيزٍ لديكَ أن تتركني أُغادر هذا المكان ... لقد قطعتُم رزقي.

قال «سعيد» وهو يهز رأسه: سأُعطيك ثمن الصندوق المفقود ... المهم أن تأخذ بالكَ من هذه الفتاة، ولا تتركها تُغادر عينَيك.

قال «تختخ» بصدقٍ وحرارة: أؤكد لكَ يا سيدي أنني لن أتركها لحظةً واحدة! قال «سعيد»: إذن اذهب للإفطار الآن، وخُذ معك الفتاة ... وعلى كل حالٍ لن تبقى طويلًا.

اقتادهما «عصفور» إلى المطبخ، ووضع أمامهما طعام الإفطار ... تمنَّى «تختخ» ساعتها أن يكون هناك طبق من الفول الساخن بالزيت والليمون ... ولكن وجبة الإفطار كانت وجبةً جافة ... قطعة من الجبن الأبيض ... علبة من الحلاوة ... بعض الزيتون ... ورغيفَين من الخبز اليابس ...

قالت «نشوى»: لقد تناولتُ إفطاري ... كلْ أنت.

وأخذ «تختخ» يمضغ الطعام ... كان يُفكِّر في طريقةٍ ما لإيصال معلومات أكثر إلى المفتش ... ولكن كيف؟ ... من الواضح أن العصابة تُريد شيئًا من المفتش «سامي»؛ فهي تُساومه على حياة ابنته «نشوى»، ومن المؤكَّد أن المفتش سيرفض أي مساومة؛ فأمام الواجب تتلاشى أية عاطفة ... حتى عاطفة الأبوة ... ولكن ما هو الشيء الذي تُريده العصابة؟ ... مرةً أخرى فكَّر في مساعد «شمروخ» الذي قبض عليه رجال الشرطة ... ولكن حرية هذا الرجل تُساوي هذه الخطة المدبَّرة بإحكامٍ لخطف «نشوى» ... ثم أين «شمروخ» ذاته؟ ... إنه لم يظهر حتى الآن، فأين هو؟ ... ولماذا يُدير «سعيد» هذه العملية كلها دون أن يبدو «شمروخ» في الصورة؟ ...

وفجأةً خطر لـ «تختخ» خاطر ما ... أخذ ينمو بسرعةٍ في ذهنه وكأنه نبات شيطاني ... إن حياة «نشوى» هامة جدًّا للعصابة ... ولوالد «نشوى» في نفس الوقت، ماذا لو تعرَّضت حياة «نشوى» للخطر ... مثل أن تُصبح مريضةً جدًّا؟ ... في هذه الحالة لن تتردَّد العصابة في استدعاء طبيب ... وربما استطاع عن طريق هذا الطبيب أن يُهرِّب رسالةً للخارج ...

ومال على «نشوى» وقال بصوتٍ هامس: «نشوى» ... هل في إمكانك أن تتظاهري بالمرض ... الشديد؟ ...

نظرت إليه «نشوى» بدهشة وقالت: لماذا؟!

قال «تختخ»: لو كان في إمكانك أن تتظاهري بالمرض بحيث يُخشى على حياتك، في هذه الحالة فإن العصابة لن تتردَّد في استدعاء طبيب ... وربما استطعنا عن طريقه أن نُهرِّب رسالةً إلى المفتش.

قالت «نشوى»: آسفة جدًّا ... إنني ممثِّلة فاشلة ... وفي إحدى الحفلات المدرسية أسندوا لي دورًا بسيطًا، ولكني فشلتُ في القيام به، واستبعدوني واستبدلوا بي زميلةً أخرى ... لماذا لا تُحاول أنت؟

ابتسم «تختخ» برغم الظروف المحيطة بهما وقال: وماذا يُهمُّهم من أمري إذا مرضتُ أو حتى مت ... إنني مجرَّد ولد متشرِّد يحتجزونه خوفًا من أن يتحدَّث ويُفسد خططهم، ولكن أنتِ هامة جدًّا بالنسبة لهم ... إنهم يُساومون عليكِ والدك ...

نشوى: ولكن والدي لن يقبل أية مساومة في أداء واجبه.

تختخ: هذا شيء أعرفه ... ولكنهم لا يعرفونه ... وهذه فرصتنا الوحيدة ... وساد الصمت و«تختخ» يمضغ طعامه في بطء ... وفجأةً لمعت عيناه وقال: «نشوى» ... ما رأيكِ في أن تصبحي مريضةً حقيقة؟!

زادت دهشة «نشوى» وقالت: كيف؟!

تختخ: سمعتُ مرةً من الدكتور «فكري» خال «عاطف» أن الإنسان إذا تناول بعض الحلوى والشطة ارتفعت درجة حرارته جدًّا ... حتى ليبدو كأنه مريض بالحمَّى، والحلاوة الطحينية موجودة، ولا بد أن في هذا المطبخ شطةً حامية.

فكَّرت «نشوى» لحظات، ثم قالت: ولكنني لا أحب الشطة!

ابتسم «تختخ» مرةً أخرى برغم كل شيء وقال: ومن الذي يحبها؟! ... أنا شخصيًّا أخشى الاقتراب منها ... على كل حال، هذا مجرَّد اقتراح ... أو فلننتظر ونرَ ما ستأتي به الأحداث، وإن كنتُ أظن أنه من الواجب أن نأخذ نحن زمام المبادرة ونفعل شيئًا، بدلًا من الانتظار حتى تفعل بنا العصابةُ ما تشاء ...

ومضت «نشوى» تُفكِّر، ومضى «تختخ» يتحدَّث ... وفجأةً ابتسمتْ «نشوى» وقالت: هذه فرصة لأشترك في مغامرةٍ بعملٍ إيجابي ... إنني موافقة!

وقام «تختخ» وأخذ يبحث في دولاب المطبخ، وسرعان ما وجد زجاجةً صغيرةً مملوءةً بالشطة الحمراء ... وأخذ كميةً وضعها في ورقة، ثم اقتطع قطعةً من الحلاوة الطحينية

وضعها في ورقة أخرى ... وأعطى «نشوى» ورقة الحلاوة لتُخفيها في جيبها، وأخذ ورقة الشطة ... ولم يكد ينتهي من هذا حتى دخل «عصفور» قائلًا: هيا إلى المخزن ...

واقتادهما عبر الممرِّ إلى المخزن، ونزلا السلالم، وأغلق «عصفور» خلفهما الباب ... توقَّفا لحظةً يتبادلان النظرات ... كان «تختخ» يُفكِّر في التوقيت الملائم لتأخذ «نشوى» الحلاوة بالشطة ... و«نشوى» تُفكِّر في هذا المغامر العجيب «تختخ» الذي يُفكِّر في كل شيء.

في هذا الوقت كان المفتش «سامي» يجلس مع «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» يتحدَّثون ... كانت هناك ثلاث سيارات لا سلكي تقف في طابور أمام منزل «عاطف» ... وكانت الاتصالات التليفونية لا تنقطع ... وكانت «لوزة» للمرة العاشرة تصف الرجلَين اللذَين حضرا لإصلاح التليفون ... وبعض الضبَّاط ينقلون ... المعلومات إلى مديرية الأمن للبحث في سجل ذوي السوابق؛ لعل أحدهما له ملف في إدارة البحث الجنائي ... وتولَّى الشاويش «علي» البحث عن المحل الذي استأجر منه الرجلان الدرَّاجتَين، واستطاع أن يعرف المحل، وبدأت التحريات حول الرجلَين ... ولكنها وصلت إلى طريق مسدود ... فقد اتضح أنهما استأجرا الدرَّاجتَين ببطاقتَين مزوَّرتَين لا أثر لهما في سجلات الشرطة!

وكان المفتش «سامي» يضع كل هذه المعلومات أمامه وهو يُفكِّر ... وقالت «نوسة»: إنني أحسستُ ببعض الاطمئنان عندما عرفتُ أن «تختخ» مع «نشوى». لقد استطاع أن يوصل إلينا عن طريقها معلومات عن وجوده، وأعتقد أنه في المكالمة الثانية قد نحصل على معلومات أخرى ...

المفتش: إنهم لن يتركوا «نشوى» تتحدَّث مرةً أخرى ... لقد دعوها للحديث معي ليُؤكِّدوا لي أنها بين أيديهم ... ولم يعُد هناك داعٍ لأن تتحدَّث معي مرةً ثانية.

محب: ولكن إذا كانوا سيتصلون مرةً أخرى كما قالوا ... ففي إمكانك أن تشترط الحديث إليهما أولًا قبل أن تسمع شروطهم ...

فكَّر المفتش لحظات، ثم قال: إنني أشك كثيرًا في كل هذا ... لسبب بسيط أن «شمروخ» ليس المجرم الذي يضع مثل هذه الخطة المعقَّدة ... إنه مجرم بسيط ... لا يضع خططًا ولا يفهم في هذه التحرُّكات المحسوبة ... إن العملية أكبر من «شمروخ» ...

محب: ولكنه تحدَّث إليك!

المفتش: إنني بالطبع لا أستطيع أن أذكر صوت «شمروخ» الحقيقي بعد مرور عشرين سنة ... إن أي شخص يتحدَّث باللهجة الصعيدية يمكن أن يخدعني.

عاطف: وماذا تتوقَّع أن يطلبوا منك؟ ...

المفتش: لا أدري ... ومهما كان فإنني لن أُنفِّذ لهم أي طلبٍ مقابل إطلاق سراح «نشوى»؛ فواجبي وعملي فوق كل شيء، بما في ذلك ابنتي.

وساد الصمت ... وقالت «لوزة»: وما هي خطتك يا سيدي المفتش؟ ... من غير المعقول أن تترك «نشوى» ... بين أيديهم.

ردَّ المفتش: إن رجالي يقومون بكل ما يمكن ... وما علينا إلا أن ننتظر؛ فقد يصلون إلى شيء يُنير لنا الطريق ... وفي نفس الوقت قد تحمل لنا المكالمة الثانية معلومات جديدةً تُحدِّد خط سيرنا ... وهناك محاولة لتتبُّع المكالمة الثانية ومعرفة مصدرها.

أسطورة العملاق

في المخزن ... جلس «تختخ» يُفكِّر ... إن معلوماته الطبية بسيطة ... وهو لا يعرف المدة اللازمة لكي ترتفع درجة حرارة «نشوى» بعد أن تأكل «الحلاوة الطحينية» بالشطة ... ومن ناحيةٍ أخرى كان يخشى الأضرار التي قد تُسبِّبها العملية ... واستمرَّ يُفكِّر فترةً طويلةً ويوازن بين المخاطر المختلفة ... كان أقسى ما يُفكِّر فيه أن تطلب العصابة شيئًا من المفتش لإطلاق سراح «نشوى»، ومن المؤكَّد أن المفتش سيرفض؛ وفي هذه الحالة قد تقوم العصابة بالقضاء على «نشوى»، ولن يستطيع هو أن يفعل شيئًا ... وفكرة الهرب فكرة مستحيلة ... فهناك الحارس ببندقيته السريعة الطلقات، وهناك الكلاب المتوحِّشة ... وتذكَّر «زنجر» ... لو كان قد خرج معه لاستطاع أن يُحمِّله رسالةً إلى الأصدقاء.

أخيرًا استقرَّ رأي «تختخ» على أن تتناول «نشوى» «الحلاوة الطحينية» بالشطة ... وقدَّر أن أفضل موعدٍ هو الخامسة مساء؛ فعملية الهضم عادةً تتم بين ساعة إلى ساعتَين، وبعدها ترتفع درجة الحرارة.

ومضت الساعات وهو يتحدَّث إلى «نشوى» ويُفكِّران معًا ... واستعرضا الموقف، ووجدا أن القرار الوحيد السليم هو عملية الحلاوة ... كان هناك احتمالان سيئان؛ الأول: أن تسوء حالة «نشوى» أكثر من اللازم ... والثاني: أن ترفض العصابة إحضار طبيب ... وتفشل الخطة.

وجاء موعد الغداء ... وتناولاه معًا ... وأخذ «تختخ» يفحص المكان جيدًا، وقام ينظر من نافذة المطبخ، فوجد جدارًا عاليًا يصعب تسلُّقه ... وفي قمته غُرست مئاتٌ من قطع الزجاج الحادة ... فعرف أن لا أمل، وأخذ معه زجاجة مياه وعادا للمخزن. وفي الساعة الخامسة أخرج «تختخ» قطعة الحلاوة، وحشاها من الداخل بالشطة، وأمسك بزجاجة

الماء، ثم ناول الحلاوة لـ «نشوى» التي وضعتها في فمها، ثم ابتلعتها بجرعات متوالية من الماء.

كان قلب «تختخ» يخفق بشدة وهو يرى الفتاة الشجاعة تبتلع الحلاوة بالشطة، ثم تجلس هادئةً تبتسم وتقول له: لا تخشَ شيئًا … إنني على استعدادٍ للتحمُّل ما دام هذا قد يُؤدِّي إلى حل المشكلة … وقد عرفتُ من أبي أنكم تحمَّلتم أكثر من هذا بكثير في سبيل العدالة وإحقاق الحق.

أخذ «تختخ» يُراقب «نشوى» وينظر إلى ساعته … وهبط الظلام تدريجيًّا داخل المخزن … وبين فترة وأخرى كان «تختخ» يضع كفه على جبهة «نشوى» في انتظار اللحظة التي ترتفع فيها الحرارة … وقد صدق تقديره؛ ففي الساعة السابعة إلا ربعًا بالضبط بدأت حرارة «نشوى» ترتفع … وقالت «نشوى»: إنني أشعر بجفاف في حلقي … ورأسي يدور.

قال «تختخ»: تحمَّلي يا «نشوى»!

نشوى: إنني لستُ متضايقةً مطلقًا … فقد أردتُ أن أقول لك …

تختخ: تظاهري بالألم … بأشد حالات الألم … وإذا طلبوا منك الآن أن تُحدِّثي والدك تليفونيًّا فارفضي بشدة … وتظاهري بالإعياء الشديد.

بعد نصف ساعة كان المخزن قد أظلم تمامًا … وارتفعت حرارة «نشوى» … وجاءت اللحظة التي انتظرها «تختخ»، فذهب إلى باب المخزن وأخذ يدق عليه بشدة صائحًا: يا «عصفور»! … البنت بتموت!

ظلَّ يدق فترةً طويلةً قبل أن يسمع خطوات «عصفور» قادمًا بسرعة … فتح «عصفور» الباب وخلفه الحارس ببندقيته الضخمة وصاح به: لماذا تصرخ؟! ماذا حدث؟

تختخ: إن الفتاة تكاد تموت!

عصفور: ماذا حدث لها؟

تختخ: لا أدري … إن درجة حرارتها مرتفعة جدًّا!

وسمعوا في هذه اللحظة صوت شيء يقع على الأرض … وارتاع «تختخ» وأسرع يدخل المخزن صائحًا: لقد سقطت!

حدث ارتباك كبير في الفيلا … وجاء «سعيد» زعيم العصابة يجري، وأحضروا لمبةً ركَّبوها، وكانت «نشوى» قد سقطت على الأرض … وقد احمرَّ وجهها وتسارعت أنفاسها، فصاح «سعيد»: ماذا أكلت الفتاة في الغداء؟! … ردَّ «عصفور»: سمك يا «سعيد» بك!

سعيد: لا بد أنه سمك فاسد يا غبي! ... إنها في حالة سيئة!

قال «تختخ» منتهزًا الفرصة: اطلبوا الطبيب حالًا.

سكت الجميع، وبدا الضيق على وجه «سعيد»، وبدا كأنه في مأزق شديد، بينما ركع «تختخ» بجوار «نشوى» وأخذ يمسك يدها وهو مرتاع ... فقد خشي أن تكون في حالة أسوأ ممَّا توقَّع ... ولكنه أحسَّ بضغطةٍ خفيفة من يدها ... وعرف أنها برغم قولها إنها ممثلة فاشلة ... تقوم بدور متقن.

وفجأةً كاد «تختخ» ينفجر من الغيظ ... لقد تذكَّر أنه نسي أن يكتب الرسالة التي ستُسلِّمها «نشوى» إلى الطبيب ... وأصبح كل ما فعله هباءً ... خاصةً عندما سمع «سعيد» يقول: سأطلب طبيبًا بالتليفون ... انقلوا الفتاة إلى غرفة نوم في الطابق الثاني.

حمل الرجلان الفتاة وخرجا بها ... وخرج «سعيد»، وبقي «تختخ» وحده ... فأسرع كالمجنون يُخرج قلمًا وورقةً من الجيب السري، ثم بدأ يكتب:

السيد الدكتور ...

الفتاة التي عالجتها الآن فتاة مخطوفة ...

والدها المفتش «سامي» ضابط البحث الجنائي ... اتصل بالتليفونات الموجودة أرقامها في هذه الورقة ... وصِف للمفتش «سامي» مكان هذه الفيلا وقل له إن «نشوى» و«توفيق» في يد العصابة، وإن «شمروخ» لا أثر له ...

لا تنسَ يا سيدي الدكتور للأهمية.

وكتب «تختخ» أرقام تليفونات المفتش «سامي» ورقم تليفون «عاطف» ... ثم صعد مسرعًا إلى الدور الثاني، ووجد غرفةً مضاءةً فأسرع إليها، ورأى «نشوى» نائمةً على فراش نظيف، وقد وقف «عصفور» بالباب.

صاح «عصفور»: ماذا أتى بك أيها المتشرِّد؟! انزل إلى المخزن!

قال «تختخ»: لقد طلب مني الزعيم أن أبقى بجوار «نشوى» وألَّا أتركها مطلقًا. ودون أن ينتظر إذنًا مرق إلى داخل الغرفة، وانحنى على «نشوى» ووضع الورقة في يدها وهمس في أذنها: قولي للطبيب أن يقرأ الورقة بعد أن يخرج!

اندفع «عصفور» إلى داخل الغرفة وصاح به: ماذا تفعل أيها الشقي؟! اخرج فورًا!

حاول «تختخ» أن يُقاوم ولكن «عصفور» جذبه من ذراعه، ودفعه خارج الغرفة، ونزل «تختخ» السلالم ووقف في وسط الصالة يُفكِّر ... لماذا لا يهرب الآن؟! إن الفيلا تبدو

خالية ... وليس هناك سوى غرفة المكتب المضاءة ... وتسلَّل إلى الباب ... ولكن ما كاد يمد يده إلى الباب حتى سمع صوتًا خشنًا يقول: ماذا تفعل أيها المتشرد؟ ...

وردَّ يده سريعًا، وقد عرف أن الفيلا محروسة جيدًا ... وتسلَّل عائدًا إلى المخزن وقد أرهف أذنَيه ... ومضت ساعة دون أن يظهر أثر لحركة تدل على وصول الطبيب، وتكاثف الظلام ... وأحسَّ «تختخ» بقلبه يسقط بين قدمَيه ... هل تراجع «سعيد» عن إحضار الطبيب؟ ... تصبح كارثةً لو لم يحضر الطبيب ...

ولكن فجأةً سمع صوت سيارة ... ثم من يفتح باب الفيلا ... وسمع صوت «سعيد» يقول: تفضل يا دكتور. إنها ابنتي وقد أصابتها الحمَّى فجأة ...

وسمع «تختخ» صوت أقدامهم يتحرَّكون ... ثم يصعدون السلَّم، فمضى متسلِّلًا خلفهم، ثم وقف في نهاية الدهليز يُحاول الاستماع إلى ما يحدث ... سمع حوارًا بعيدًا ... وسمع كلمة مستشفى ... ثم بعض الإسعافات العاجلة ... ثم ساد الصمت لحظات ... ومضت نحو عشرين دقيقة ... ثم سمع «تختخ» صوت أقدام الطبيب وهو يخرج ... وخلفه «سعيد» ... ثم دار محرِّك السيارة، وابتعدت ...

عاد الصمت يلف الفيلا ... وأسرع «تختخ» يفتح باب المخزن مرةً أخرى ويُطل من فتحة الباب، وفي هذه المرة شاهد قبضةً تنقض على وجهه وصوت «عصفور» الغاضب يصيح به: أيها المتشرِّد الشقي!

واستطاع «تختخ» في الوقت المناسب أن ينسحب قبل أن تُصيبه اللكمة ... أدخل رأسَه بسرعة وأغلق الباب ...

وجلس وحده يُفكِّر فيما ينبغي أن يفعله ... وعمَّا فعلته «نشوى».

هل استطاعتْ تسليم الورقة للطبيب؟

هل سيقرؤها الطبيب؟

وهل سيتصل حقًّا بأرقام التليفونات التي كتبها له؟ ...

مزيد من الأسئلة! ومزيد من الحيرة!

أشرفت الساعة على العاشرة دون أن يحدث شيء، وبدأ «تختخ» يُحس أنه وضع خطةً فاشلة ... تحمَّلت «نشوى» عذابها دون فائدة ... وفي نفس الوقت سمع حركةً غير عادية داخل الفيلا ... خرجت السيارة ووقفت أمام الباب الخارجي ... وجاءت سيارة أخرى ... ثم سمع صوت أقدامٍ كثيرة تتحرَّك داخل الفيلا ... ولم يستطِع مقابلة «نشوى». ومرةً أخرى ... غامر بفتح الباب ... وقد فكَّر أن «عصفور» لا بد مشغول في هذه التحرُّكات

التي تدور في الفيلا ... وفعلًا لم يجِده أمام باب المخزن، فصعد الدرجات بحذر ... وسار في الدهليز على أطراف أصابعه واقترب من باب المكتبة وأخذ يستمع إلى تعليمات كان يُصدرها «سعيد» ... وقد ذُهل وهو يسمع هذه التعليمات:

يبدأ التحرُّك في الثالثة صباحًا تمامًا ... سنكون هناك الساعة الثالثة والنصف وخمس دقائق ... ستكون السيارة الشيفروليه أمام الباب الرئيسي، وسيتظاهر «موسى» أنه يكشف على المحرِّك الذي سيظل دائرًا ... في هذا الوقت يكون «مسعد» و«خشبة» و«محروس» ... يقومون بفتح الباب الخارجي بالمفاتيح التي جهَّزناها ...

قطع حبل الأسئلة شخص يقول: الحارس يا «سعيد بك» ... نسينا حارس البنك ...

سعيد: إنني لم أنسَ شيئًا ... لقد أعددنا له تدبيرًا محكمًا بواسطة المجموعة الثانية في السيارة المرسيدس.

ووقع قلب «تختخ» بين جنبَيه ... إنهم يُدبِّرون لسرقة بنك!

ماذا يفعل الآن؟!

وقبل أن يسترسل في تفكيره مضى «سعيد» يقول: سنُحدِّد للمفتش «سامي» مكانًا بعيدًا لتسليم ابنته إليه ... وهو الآن في انتظار مكالمة منا ... وأرجو أن تكون حالة الفتاة تحسَّنت بعد أن تناولت الدواء ... وعندما تتجه قوة الشرطة كلها إلى المكان الذي حدَّدناه ... سنكون قد قمنا بالعملية.

وفهم «تختخ» كل شيء ... فلم يكن خطف «نشوى» للانتقام من أبيها ... وليس لـ «شمروخ» دخْل في العملية كلها ... إنها عملية إشغال للمفتش ورجاله، بحيث يتجهون إلى مكان، وتضرب العصابةُ ضربتها في مكانٍ آخر ... عملية دُبِّرت بمهارة وستتم في موعدها ما لم يتصرَّف ... فمن الواضح أن الطبيب لم يفعل شيئًا.

إنه في الداخل لا يستطيع شيئًا أمام هذا الجمع من الرجال ... والكلاب الشرسة في الخارج ستمزِّقه إذا حاول الفرار ... بالإضافة إلى الحارس المسلَّح ... ولكن يجب أن يُحذِّر المفتش «سامي»، ولكن كيف؟! ...

في هذه اللحظة سمع «تختخ» صوتًا لم يُصدِّق أذنَيه عندما سمعه ... صوت «بومة» تنعق في الظلام.

خفق قلبه ... وسال العرق غزيرًا على صدغَيه ... هل هو أحد المغامرين الخمسة؟! وتكرَّر الصوت بترتيب مُعيَّن ... وأحسَّ «تختخ» أنه لا يسمع صوت «بومة»، ولكن يسمع أعظم مطرب في العالم.

إن المغامرين الخمسة قريبون منه!

ولكن أين المفتش «سامي»؟

لماذا لا يهجم هو ورجاله؟ هل تحدَّث الطبيب فلم يجد المفتش «سامي» فترك الرسالة مع أحد المغامرين؟ وتقدَّموا هم للهجوم؟ إنها كارثة لو حاولوا … ففي الفيلا أكثر من عشرة رجال مسلَّحين.

لا بد أن يُساعد المغامرين … لا بد أن يُحذِّرهم …

وكان لا بد أن يتصرَّف سريعًا.

صعد درجات السلم الداخلي في الفيلا واتجه إلى غرفة «نشوى»، ولحسن الحظ لم يكن أحد هناك … فتح الباب ودخل، ووجد «نشوى» تجلس في الفراش … وعندما رأته ابتسمت … وحمدت الله … إنها في حالة طيبة … وأسرع إليها وهمس: «نشوى» … المغامرون الخمسة هنا … لقد نجحت الخطة!

قالت «نشوى»: وحدهم!

ردَّ «تختخ»: أعتقد ذلك، ويجب أن نُساعدهم … إنهم مجانين إذا تصوَّروا أن في إمكانهم مهاجمة العصابة وحدهم.

نشوى: وماذا يمكننا أن نفعل؟

تختخ: هل يمكنك الحركة الآن؟

نشوى: لقد زالت الحمَّى تقريبًا … وفي استطاعتي أن أجري إذا لزم الأمر.

تختخ: إذن تعالَي خلفي!

وغادرت «نشوى» الفراش … ونزلا السلَّم معًا … ولكن لم يكادا يصلان إلى نهايته حتى وجدا «عصفور» يأتي من ناحية المخزن مهتاجًا … لقد ذهب ليرى «تختخ» فإذا به يجده أمامه …

وانقضَّ «عصفور» على «تختخ» صائحًا … وزاغ «تختخ» منه … ولكن «عصفور» أمسكه من شعره … وكانت أكبر مفاجأة لـ «عصفور» في حياته عندما وجد الشعر في يده … و«تختخ» يجري إلى المطبخ وخلفه «نشوى»، وأغلق «تختخ» خلفهما الباب … وسمعا صوت «عصفور» وهو يصيح مستنجدًا … وقام هو و«نشوى» بوضع مائدة الطعام في المطبخ خلف الباب … وتذكَّر «تختخ» فيشات الكهرباء … إنها في المطبخ … وقفز بخفة القرد برغم سمنته وأخذ يجذب الفيشات … وانطفأ النور … وسمع صياح الرجال واضطرابهم … ونزلت طرقة على باب المطبخ الزجاجي فحطَّمته … وشاهد «تختخ» وجه

أحد الرجال يُطل من الزجاج المكسور ... ولم يتردَّد ... رفع أحد الكراسي وضربه ضربةً أطاحت به بعيدًا وهو يصرخ ... ثم انهال الرصاص على الباب.

وصاح «تختخ»: ألقي بنفسكِ على الأرض!

وارتميا على الأرض ... وسمعا صوت مكبِّر للصوت يُنادي من الخارج: سلِّموا أنفسكم ... إن الشرطة تُحاصر المكان!

وفتح الجحيم أبوابه ... أخذت أصوات المدافع الرشاشة تطرقع في الظلام وكأنها معركة حربية.

وعاد صوت مكبِّر الصوت: سلِّموا أنفسكم ... وحاذروا من إيذاء الفتاة أو الولد!

كان الرجال يجرون في كل اتجاه في الظلام وهم يُطلقون الرصاص ويسبون ويلعنون، وسمع «تختخ» و«نشوى» صوت باب يُكسر ... وسمعا صوت المفتش «سامي» يصيح: «توفيق»! ... «نشوى»! ...

وصاح «تختخ» و«نشوى» معًا: نحن في المطبخ!

وارتفعت أصوات كعوب الأحذية الضخمة وهي تقتحم المكان ... ووجد «تختخ» أنه من الممكن إضاءة النور في هذا الوقت، فأخرج كشَّافه الصغير، وطلب من «نشوى» أن تُنير له مكان الفيشات ... ثم أعادها مكانها ... وعاد النور ...

أخذت الطلقات تتناقص شيئًا فشيئًا ... حتى تلاشت ... وسحب «تختخ» المائدة من خلف باب المطبخ ... وبحذر فتح الباب ... وشاهد المفتش «سامي» واقفًا وبيده مسدَّس وخلفه بعض رجاله ... وشاهد «المفتش» ... «تختخ»، فتقدَّم مسرعًا، وقال «تختخ»: «نشوى» بخير. وخرجت «نشوى» وارتمت بين ذراعَي والدها.

في صباح اليوم التالي كان المغامرون الخمسة ومعهم «نشوى» والمفتش يتناولون الشاي بدعوةٍ من المفتش في الكازينو ...

كانوا جميعًا في غاية المرح خاصةً المفتش ... وقال «تختخ»: آسف جدًّا لما سبَّبته لـ «نشوى» من ألم ... ولكن ...

قاطعه المفتش: لقد قُمتَ بدور من أهم أدوارك على الإطلاق ... لقد دبَّروا لسرقة «بنك مصر» في «المعادي» ... وكانت خطتهم في غاية الإحكام ... ولولا الرسالة التي أرسلتها مع الطبيب لنفَّذوا خطتهم.

تختخ: ولكن «شمروخ» ... أساس هذا كله ... الرجل الذي عاد بعد عشرين عامًا ليلعب دورًا آخر معك ... أين هو؟

المفتش: لقد كان زعيم العصابة مع «شمروخ» في السجن ... وعرف منه قصة مطاردتي له وإيقاعي به ... وانتهز فرصة خروجه من السجن ليجعله طُعْمًا ... لولا تدخُّل المغامرين الخمسة.

ابتسم «تختخ» ابتسامةً واسعةً وقال: لقد قامت «نشوى» بالدور الأكبر!

لوزة: وقمتُ أنا بالدور الأسوأ.

قال المفتش: لا تلومي نفسك ... إن ما يبدو خطأً كثيرًا ما يكون هو الصواب.

عاطف: وأنا لم أقم بدور على الإطلاق!

محب: المهم الآن ... أين مُساعد «شمروخ» الذي قبضتم عليه ... وأين «شمروخ» ذاته؟

قال المفتش: إن مساعد «شمروخ» يتعرَّض لتحقيق دقيق ... وأعتقد أننا سنتمكَّن عن طريقه من الوصول إلى مخبأ «شمروخ».

عاطف: وهكذا تضربون عصفورَين بحجرٍ واحدٍ كما يقولون.

المفتش: ليس عصفورَين فقط ... لقد كانوا عشًّا كاملًا من العصافير.


هنداوي